كتاب الشفاء

٢١٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف عياض بن
ش•ق
موسى - ٥٤٤هـ . كتبه أحمد بن محمد بن علي
سنة ١٢١٧هـ .
٢٠٥ق ٢١س ٢٠×١٢,٥سم
نسخة جيدة ، رؤوس الفقر بالحمرة ، خطها نسخ
١٠٩٣ حسن ، طبع .
الأعلام ٥ : ٢٨٢ الظاهرية (التاريخ ٢) : ٣١٩
١- السيرة النبوية أ- القاضي عياض، عياض بن
موسى - ٥٤٤هـ ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ



دخل هذا الكتاب
في ملك أضعف العباد



بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الشيخ الامام العالم العامل الاوحد الفقيه الاديب علم الحفاظ
ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي قدس الله روحه الحمد لله
المنفرد باسمه الاسمى المختص بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما الباطن تقدسا لا عدما
وسع كل شيء رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا
من انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا وحلما
واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما واشدهم بهم رافة ورحما
زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به
اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فامن به وعزره ونصره من جعل
الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله
عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله عليه
وسلم صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اما بعد اشرق الله قلبي

١

وقلبك بانوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لاوليائه المتقين
الذين شرفهم الله بنزل قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه
وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملا
قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا
ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون بجماله نسخه
وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع اليه والتوكل
عليه يتعززون لهجين بصادق قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فانك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه افضل
الصلاة والسلام وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب
عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع
لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال
فاعلم اكرمك الله تعالى انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما ندبتني
اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ملا قلبي رعبا فان الكلام
في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف عن غوامض ودقائق
من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز
عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة وخصائص
هذه الدرجة العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا
ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض
تزل بها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله تعالى وتاييد لكنه لما رجوته لي
ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه
العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به

من حقه الذي هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد
الذين امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى
بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد قال حدثنا ابو عمر النمري حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الاشعث
حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد اخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل
عن علم فكتمه الجمه الله تعالى بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت مسفرة
عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض ختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه من مقاليد المحنة التي
ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل
ولو اراد الله تعالى بالانسان خيرا لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم
محله فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته
واستنقاذ مهجته وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده او يستفيده جبر الله
تعالى صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر
دواعينا فيما ينجينا ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله
وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى
الله عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة القسم الاول
في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وتوجه
الكلام فيه في اربعة ابواب الباب الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره



عظيم قدره لديه صلى الله عليه وسلم وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية
فيه نسقا صلى الله عليه وسلم وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه الله به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم وفيه اثنى عشر
فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم الثاني فيما يجب
على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام ويترتب القول فيه في اربعة ابواب
الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله
عليه وسلم وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه
ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره صلى الله
عليه وسلم وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه
صلى الله عليه وسلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه وهذا القسم اكرمك الله تعالى هو سر هذا الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب
وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات
وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعده
والتفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ
انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام
فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة
وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه

من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام
على من تنقصه او سبه عليه افضل الصلوة والسلام وينقسم الكلام فيه في بابين
الباب الاول في بيان ما هو في حقه صلى الله عليه وسلم سب ونقص من تعريض
او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه
وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول
وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم
وصحبه رضي الله عنهم واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينجز
الكتاب وتتم الاقسام والابواب وتلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج
التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم
مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه استعين
لا اله الا هو الملك الحق المبين القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر النبي
المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا قال الفقيه الامام القاضي ابو الفضل
المؤلف رحمه الله تعالى لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى
لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام وخصوصه
اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره
بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على
جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وآدابه وحض العباد على التزامه
وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح
بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد
لله اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال





والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة
والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة
والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من ادركه وعلمها
علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره
علينا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين
ابن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك
ابن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال
حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى
ابن سورة الحافظ قال حدثنا اسحاق بن منصور قال حدثنا عبد الرزاق
قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال
له جبريل عليه السلام ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه قال
فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه
اعلم ان في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله
عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما
ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل الاول
فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم
رسول من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة
الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله اعلم الله تعالى المؤمنين
او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا
الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون

صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصح لهم لكونه منهم
وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة
او قرابة وهو عند ابن عباس رضي الله عنهما وغيره معنى قوله تعالى الا المودة
في القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية
المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه
على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم
واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم صلى الله عليه وسلم قال
بعضهم اعطاه الله اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله في الاية الاخرى
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية
وفي الاية الاخرى قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية
وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية وروي عن علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا
وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي
رحمه الله كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما وجدت فيهن
سفاحا ولا شيئا مما كان عليه اهل الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال
جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم
لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة
البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل
طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر





ابن طاهر زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه
رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته
فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى
ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حيوته رحمة ومماته
رحمة كما قال عليه الصلوة والسلام حيوتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال عليه
الصلوة والسلام اذا اراد الله تعالى رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها
فرطا وسلفا وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق
للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير
العذاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وروي عن جعفر بن محمد الصادق في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الله تعالى الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير رضي الله عنهما
المراد بالنور الثاني هنا محمد عليه الصلوة والسلام وقوله تعالى مثل نوره
اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل
السموات والارض ثم قال مثل نور محمد عليه الصلوة والسلام اذ كان مستودعا
في الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره
اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة
اي من نور ابرهيم عليه الصلوة والسلام وضرب المثل بالشجرة المباركة

وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تتبين للناس قبل
كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله اعلم وقد سماه الله تعالى
في القران في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال الله تعالى قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين وقال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح
اي وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك
حتى لا يوذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره
من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا ذلك
لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي في قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل
في الاذان والاقامة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هذا تقرير من الله جل
اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل
الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه
بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره
وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رضي الله عنه رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي





صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدري
كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا
جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
خ بان ذكرك معي خ
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله ورسوله فجمع بينهما
بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير حقه عليه الصلوة والسلام
حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقراته على الثقة
عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن قال حدثنا ابو بكر
ابن داسة قال حدثنا ابو داود السجزي قال حدثنا ابو الوليد الطيالسي قال
حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي رحمه الله ارشدهم صلى الله عليه وسلم
الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي
للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا
خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان
كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما
كره له الوقوف على يعصهما وقول ابي سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح انه قال
ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب
المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى

والملائكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي عن عمر
رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله الايتين روي انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله
والرسول الاية فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون
في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه رضي الله عنهم حكاه عنهما
ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي
مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك
الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى الاية انه محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى والذي
جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين اكثر المفسرين على ان الذي
جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق به
وقرئ صدق به بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل



علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم الفصل الثاني
في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله
شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصايصه صلى الله عليه
وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده
وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله
قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد قال اخبرنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد
المروزي قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف قال حدثنا البخاري قال حدثنا
محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة
ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله
الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم
واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق

شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد
الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر
به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب
مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة
عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون
لله تعالى على كل حال وقد قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين
وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى
منته انه جعل رسوله عليه الصلوة والسلام رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب
ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا سهلا طلقا
برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى
فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله تعالى في الاية
الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس
وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا وقوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا
للانبياء عليهم الصلوة والسلام على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم
ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء عليهم
الصلوة والسلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة





على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق
هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم صلى
الله عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد
صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل بن عبد الله التستري
هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه عنه السلمي رحمه الله تعالى الفصل الثالث فيما ورد في خطابه
اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
قال ابو محمد المكي رحمه الله قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله تعالى واعزك
الله تعالى وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي
عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا
الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم
بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته
عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب
بهذه الاية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اخبره الله انه لو لم يأذن
لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب
[illegible] القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية

وروضة الاداب الدينية والدنيوية ولنتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع وليستثير ما فيها من الفوائد وكيف
ابتدأ بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال
الله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين
عاتب الله تعالى الانبياء عليهم الصلوة والسلام بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط
المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه
عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه
[illegible] امنه ومثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
[illegible] كل علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
و[illegible] جئت به فانزل الله تعالى فيهم فانهم لا يكذبونك الاية وروى
ان النبي [illegible] الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام
فقال ما يحزنك [illegible] بني قومي فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى
الاية ففي هذه [illegible] لطيف الماخذ من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام
والطافه له في القول [illegible] ورعنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له
معترفون بصدقه [illegible] تادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين
فدفع بهذا التقرير ارتماض [illegible] بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
ظالمين جاحدين فقال الله تعالى و[illegible] الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من
الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الايات [illegible] حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون
ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى [illegible] وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا ثم عزاه وانسه بما ذكره من قبله [illegible]

٨





لا

رسل من قبلك الاية فمن قرا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء
والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرا
بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر
من خصائصه صلى الله عليه وسلم وبر الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء
عليهم السلام باسمائهم فقال يا ادم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى
ولم يخاطبه هو الا يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل
الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله تعالى جل جلاله بمدة حيوة محمد صلى الله
عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك
يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه
من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد غيره وقال ابو الجوزاء
ما اقسم الله تعالى بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه [illegible] البرية عنده
وقال الله تعالى يس والقران الحكيم الايات اختلف المفسرون [illegible] يس على اقوال
فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه [illegible] لي عند ربي
عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له [illegible] عبد الرحمن السلمي عن جعفر
ابن محمد الصادق رضي الله عنه انه اراد [illegible] مخاطبة لنبيه صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] يا انسان اراد بالانسان محمدا
صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم و[illegible] اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه
يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان [illegible] ابن الحنفية رضي الله عنه يس يا محمد
وعن كعب رضي الله عنه [illegible] قسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض

باموسى

يا نبي عام يا محمد انك لمن [illegible] القران الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر
انه من اسمائه صلى الله عليه [illegible] فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم
ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين
بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اى طريق لا اعوجاج فيه
ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم السلام
بالرسالة فى كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال انه يا سيد
ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وقال الله تعالى
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك
منه حكاه مكى وقيل لا زائدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال وحل لك
ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطى
اى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى
المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله تعالى حل بهذا البلد
ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى
عز وجل بمقامه فيها وكونه بها فان كونه عليه الصلوة والسلام امان حيث
كان ثم قال الله تعالى ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو
ابرهيم عليه السلام وما ولد فهى ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله
عليه وسلم فتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
قال ابن عباس رضى الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله تعالى بها وعنه وعن غيره
فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى الالف هو
الله تعالى واللام جبريل عليه السلام والميم محمد عليه الصلوة والسلام



وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل و [illegible] نزل جبريل على محمد
عليه الصلاة والسلام بهذا القران لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم
ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو
ما تقدم وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقران المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه
محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو
حاله وقيل هو اسم للقران وقيل اسم لله وقيل جبل محيط بالارض وقيل
غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه
وسلم وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير
الله وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان
منه تفجر الايمان الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال
الله تعالى جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف فى سبب نزول هذه
السورة قيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت
امراة فى ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة
قال القاضى الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه
به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى
والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده
وحظوته لديه بقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما
اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق
اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك الله من كرامة الدنيا قال سهل اي

ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه اية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في
الدارين والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه
الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في
القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه ان يدخل احد من امته النار الخامس
ما عدده الله عليه من نعمه وقرره من الاية قبله في بقية السورة من هدايته الى ما
هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه الله
بما آتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه
اليه وقد قيل آواه اليه تعالى وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على
المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته ويتمه وقبل معرفته به
ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اصطفائه واختصاصه السادس امره باظهار
نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة ذكره بقوله واما بنعمة
ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص له عام لامته وقال الله تعالى
والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله
تعالى والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن
محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله تعالى والسماء و
الطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه
وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد ما يقف

١١
دون العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه في ما تلاه انه
وحي يوحى اوصله اليه عن الله عز وجل جبريل عليه السلام وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن
فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى من
ايات ربه الكبرى وقد نبه تعالى على مثل هذا في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه
صلى الله عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على العقول
التعظيم فقال الله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل
النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال عز وجل
لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
في تعيين تلك الايات الكبرى قال الامام ابو الفضل رحمه الله واشتملت هذه الايات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات
في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد
ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما
طغى وقال الله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ
ما حمله من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي
في السماء امين على الوحي قال علي ابن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه
وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل عليه السلام فترجع
الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمد صلى الله عليه وسلم قيل رأى ربه وقيل رأى

جبريل عليه السلام في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قرا بالضاد فمعناه ما هو
ببخيل بالدعاية والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى
ن والقلم وما يسطرون الآيات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى
مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك
بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة ثم اعلمه بما له عنده من
نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عد ولا يمتن به عليه فقال عز وجل وان لك لاجرا
غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرف
التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم
وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه
وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن
الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه
ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من
عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف بعد
مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بنفسه وبفضله منتصرا
لنبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين
الى اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت
نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام
قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى طه اسم من اسمائه عليه السلام



وقيل هو اسم لله عز وجل وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء
كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على
قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى ونزلت هذه الاية
فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة
ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي قال حدثنا
ابرهيم بن خزيم الشاشي قال حدثنا عبد بن حميد قال حدثنا هاشم بن القاسم عن
ابي جعفر عن الربيع بن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله عز وجل طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا
عليك القران لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا
طه من اسمائه عليه الصلوة والسلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله
ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا
ومثله قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشا
ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون الى اخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي
سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على
ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا

ربما

[illegible] او مجنون عزاه الله تعالى الخبره به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم
[illegible] محنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول
من [illegible] لك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله عز وجل فتول عنهم اي اعرض
عنهم [illegible] انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى
واصبر [illegible] ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك
سلاه [illegible] تعالى بهذا في اي كثيرة من هذا المعنى والله المستعان **الفصل السابع**
فيما اخبر [illegible] به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة
رتبته صلى [illegible] عليه وسلم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة الى [illegible] الشاهدين قال ابو الحسن القابسي اختص الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم ب[illegible] يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون
اخذ الله تعالى [illegible] الوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم
ونعته واخذ عليه [illegible] ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه
ويأخذ ميثاقهم ان [illegible] لمن بعدهم وقوله تعالى ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب
المعاصرين لمحمد صلى [illegible] عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث
الله تعالى نبيا من ادم [illegible] السلام فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى
الله عليه وسلم لئن بعث [illegible] حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك
على قومه ونحوه عن السدي [illegible] قتادة في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد
قال الله تعالى واذ اخذنا من [illegible] ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال تعالى انا
اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح [illegible] قوله تعالى شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه قال في كلام بكى [illegible] صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده [illegible] ان بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم





فقال تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما ههنا
قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام لتخصيصه
بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله تعالى عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم عليه
السلام كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له
الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء عليهم السلام اعطي فضيلة او كرامة
الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه
العزيز فقال تعالى يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من
شيعته لابرهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابرهيم
اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد نوح عليه
السلام **الفصل الثامن** في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ودفعه
العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين
نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الاية وقوله
تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا
يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأ به العذاب
عن اهل مكة بسبب كونه فيهم ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم



عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياه وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم
وديارهم وأموالهم وفي الآية أيضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله
تعالى بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا حدثنا
أبو يعلى بن زوج الحرة قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن محبوب المروزي قال
حدثنا أبو عيسى الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابن نمير عن إسمعيل
ابن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى علي أمانين لأمتي وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار وقريب منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
قال صلى الله عليه وسلم أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته
باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى
أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة
عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله تعالى علي وملائكته وأمره الأمة بذلك
إلى يوم القيمة والصلاة من الملائكة استغفار ومنا له عليه الصلاة والسلام دعاء
ومن الله تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم
الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي كفاية الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له





قال عز وجل ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له قال تعالى وأيدك بنصره والعين
عصمته له قال عز وجل والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال تعالى إن الله
وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو
مولاه الآية مولاه أي وليه وناصره وجبريل وصالح المؤمنين قيل الأنبياء عليهم السلام
وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي رضي الله عنه وقيل المؤمنون
على ظاهره والله أعلم **الفصل التاسع** فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه
الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره
وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما
يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك وقال مكي جعل
الله تعالى المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال تعالى ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع
ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة
والسعادة الدائمة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة
التي جعلها الله في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر
لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم
ثم قال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصائصه
عليه الصلاة والسلام من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب

وقيل محذرا من الضلال لتؤمنوا بالله تعا ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه
اي تجلونه وقيل تنصرونه وقيل تبالغون في تعظيمه وتوقروه اي تعظموه وقرأه
بعضهم بعززوه بزائين من العز والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه
وسلم ثم قال تعا وتسبحوه فهذا راجع الى الله تعا قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه
وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة
وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام
الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي
الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحيوته
ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد
ولد آدم عليه الصلوة والسلام وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني
التوحيد ثم قال تعا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون
الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله تعا وقيل ثوابه وقيل
منته وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظيم
شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعا فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان
القاتل والرامي بالحقيقة هو الله تعا وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ
عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها
على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت
اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان





منفعة الرمي كانت من فعل الله تعا فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم الفصل
العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه
به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعا من قصة
الاسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه
ومشاهدته ما شاهد من العجايب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعا والله يعصمك
من الناس وقوله تعا واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعا الا تنصروه فقد نصره الله
وما دفع الله تعا به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصه نجيا
في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار
وما ظهر لهم في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك
حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعا
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى
بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله
فقال تعا ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل
او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعا ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قيل السبع المثاني السور الطول الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني
ام القران والقران العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار
وضرب مثل واعداد نعم واتيناك نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها
تثنى في كل ركعة وقيل بل الله تعا استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وسمي القران مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني
اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة

وقال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال الله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الاية قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله تعالى فهذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق
كافة كما قال عليه الصلوة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه فيهم
من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأى
النفس وازواجه امهاتهم اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة
له وخصوصية ولانهن له ازواج فى الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به
الان لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التى
لم يحتملها موسى صلى الله عليهما وسلم تسليما الباب الثانى فى تكميل الله تعالى له المحاسن
خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا
النبى الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال
والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب
دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله تعالى زلفى ثم هى على فنين ايضا منها ما يتخلص
لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء فيه اختيار
ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه
وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حيوته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه
ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذ قصد بها التقوى





ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة
واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم
والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء
والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى
جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان تكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة
كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله تعالى والدار
الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها
وتفضيلها فصل قال القاضى رحمه الله تعالى اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا
الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنين ان اتفقت له فى كل عصر اما من نسب او جمال
او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر
من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب
ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة
بين الانبياء عليهم السلام والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة
والمكانة عند ذى العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى
والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع
الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملائكة وايتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثانى والقران العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله تعالى وصلوة الله تعالى والملائكة

والحكم بين الناس بما اراه الله تعالى ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه صلى الله عليه
وسلم واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم وانباع الماء من بين
اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع
على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل
ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له في الدار الآخرة
من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله تعالى لا خفاء على القطع
بالجملة انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا
وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله تعالى قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته
عليه الصلوة والسلام حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة
الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه
عليه الصلوة والسلام في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة
بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام
المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس
ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن
حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل
اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية
تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور المتجرد





دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن
يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر
ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج
من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب
اللحم قال البراء بن عازب رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت شيئا احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ
في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم
مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان وجهه مستديرا وقالت ام معبد رضي الله
عنها في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث
ابن ابي هالة رضي الله عنها يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه
في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار
قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء
الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله عز وجل في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين على
النظافة حدثنا سفيان بن العاصي وغير واحد قالوا حدثنا احمد بن عمر قال
حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان
قال حدثنا مسلم قال حدثنا قتيبة قال حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس

رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من جونة عطار قال
غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده
على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري رحمه الله
في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت
رايحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد روى الحربي عن المزني عن جابر رضي الله عنه
قال اردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا
وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط
انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله
عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلاء فلا يرى منك شيئا من الاذى
فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء
وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى
الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي رحمه الله حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ
في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع
في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد
هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي





رضي الله عنه قال غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر الى ما يكون من الميت
فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها
قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله له لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه دم حجامته
فقال له عليه الصلوة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي
نحو من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يأمر
واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله عليه
الصلوة والسلام صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح واسم هذه
المراة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه
فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه امنة انها قالت قد
ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم
لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام
فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

## فصل

واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية انه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل

تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب
شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة
تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة
وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه رحمه الله قرات في احد
وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم
رأيا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه الصلوة
والسلام اني لاريكم من وراء ظهري ونحوه عن انس رضي الله عنه في الصحيحين وعن عائشة
رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته وفي بعض الروايات
اني لانظر من وراي كما انظر الى من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر
من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه
وسلم الملائكة والشياطين ورفع النجاشي له صلى الله عليه وسلم حتى صلى عليه وبيت المقدس
حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده صلى الله عليه وسلم وقد حكي عنه صلى
الله عليه وسلم انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين
وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه
ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء عليهم الصلوة والسلام وخصالهم
كما اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغاني قال حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها قال حدثنا الشريف ابو الحسن

ما

رواية
صح





علي بن محمد الحسني قال حدثنا محمد بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن احمد بن سليمان
قال حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق قال حدثنا همام قال حدثنا الحسن عن قتادة
عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى
الله تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا
من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار
بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته
صلى الله عليه وسلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى
تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة
طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة
تكلف واوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة
منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه
يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم
ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث
ابن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه
الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها

لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب
والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما
ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع
الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو
الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا
الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن
حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه وفي التيعة شاة لا مقورة
الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم
في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل
على الاقيال اين هذا من كتابه عليه الصلوة والسلام لانس رضي الله عنه في الصدقة
المشهورة لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر
استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العامري
حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي
لغة بني عامر واما كلامه صلى الله عليه وسلم المعتاد وفصاحته المعلومة





وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه
وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله صلى
الله عليه وسلم الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى
لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو
بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله صلى الله
عليه وسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني
مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وقوله
لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الامهات ووأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله صلى
الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله صلى
الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض دعائه اللهم
اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي
وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها
من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته
ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك مرتبة
لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق
اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم الان حمي الوطيس



ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها
ما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب بالفكر في ادا في حكمها وقد قال له اصحابه
رضوان الله عليهم ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران
بلساني لسان عربي مبين وقد قال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع
له صلى الله عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ
الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه
بشري فقالت ام معبد رضي الله عنها في وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق
فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان صلى الله عليه وسلم جهير
الصوت حسن النغمة **فصل** واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشائه فمما لا يحتاج
الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة
بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه
ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله تعالى على الله تعالى وعلى عباده حدثنا قاضي القضاة حسين
ابن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف قال حدثنا
ابو ذر عبد بن احمد قال حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا
محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا
يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا
حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم
ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا
خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال رسول





الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من
ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم
العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني
هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب
فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله تعالى آدم القى ذلك النور في صلبه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله تعالى الى الارض في صلب
آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني
من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح
قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم المشهور **فصل** واما ما تدعو ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة
اضرب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه
فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
فلم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل
على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء
الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع
الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل

على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا ابو الفضل الاصبهاني قال حدثنا ابو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن احمد قال حدثنا بكر بن سهل قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام ابن معدي كرب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة رضي الله عنها وقوله الم ار برمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم انهم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته صلى الله عليه وسلم اذ راهم



لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان عليه السلام يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلوة والسلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان

ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح
في الزهد وقال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن
ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة رضي الله عنهم كثيري الزوجات
والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله
عنهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان
حصورا فكيف يثني الله تعالى عليه بالعجز عما نعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام
بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه قد حصر عنها وقيل
مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها
اما بمجاهدة كعيسى عليه الصلوة والسلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى
عليه الصلوة والسلام فضيلة من الله تعالى زائدة لكونها مشغلة في كثير
من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب
فيها ولم تشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله
عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه تبارك وتعالى بل زاده ذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل
صرح عليه الصلوة والسلام انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من
حظوظ دنيا غيره فقال صلوات الله وسلامه عليه حبب الي من دنياكم فدل



على ان حبه صلى الله عليه وسلم لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من
امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها
في التزويج وللقاء الملائكة عليهم السلام في الطيب ولانه ايضا مما يحض على
الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه صلى الله عليه وسلم لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالتين فقال وجعلت
قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى صلوات الله وسلامه على نبينا
وعليهما في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه
وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد
الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم
كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس
رضي الله عنه وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي
نحوه عن ابي رافع رضي الله عنه وعن طاوس رضي الله عنه اعطي عليه الصلوة
والسلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم رضي الله عنه
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر
من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان
عليه الصلوة والسلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل
ذلك وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه الصلوة والسلام
ماء مائة رجل وكانت له ثلاث مائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى النقاش
وغيره سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه الصلوة والسلام
على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه

بسند جيد للطبراني

على ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه الصلوة والسلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل
النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه
في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك
معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة
انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي
مسعود رضي الله عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشرف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو
مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح
به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا
فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته
ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا بذلك المعالي والثناء
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه



في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه
حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به
على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى
غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه
غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني
بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر
بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال عليه الصلوة والسلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه
دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية
ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان
استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه
فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ

على ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء
والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه الصلوة والسلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل
النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه
في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك
معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة
انها لما رأته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي
مسعود رضي الله عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة وشرف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو
مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح
به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم
عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا
فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته
ومهمات من اعتراه واقله وتصريفه في مواضعه مشتريا بذلك المعالي والثناء
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه

بسند جيد الطبراني





في وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله تعالى والدار الاخرة كان
فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه
حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به
على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا
التمدح بالمال وفضيلته عند مفضليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى
غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه
غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا متمدح عند احد من العقلاء بل هو فقير
ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه
فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني
بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه
وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم
ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع
جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر
بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال عليه الصلوة والسلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه
دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية
ستة فدفعها لبعض نسائه فلم ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن
استرحت ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه
فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ

وتفيسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره
اذ المباهاة فى الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهى
من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين وقد ذم الشرع
ذلك وغاية الفخر فيه فى العادة عند الناس انما تعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه
ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو
حائز الفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها
فى الفخر ومعرق فى المدح باضرابه عنها وزهده فى فانيها وبذلها فى مظانها
فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التى اتفق
جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه
واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها
بانه من اجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها
والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله
عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه
بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه صلى
الله عليه وسلم القران يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه مثله وكان فيما
ذكره المحققون مجبولا عليها فى اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب
ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء عليهم الصلوة





والسلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال
موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلوة والسلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق
فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال
المفسرون اعطى يحيى عليه الصلوة والسلام العلم بكتاب الله تعالى فى حال الصباه قال
معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل فى قوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى عليهما الصلوة والسلام وهو ابن ثلاث
سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو فى بطن امه فكانت ام
يحيى تقول لمريم انى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له وقد نص الله تعالى
فى كتابه على كلام عيسى عليه الصلوة والسلام لامه عند ولادتها اياه بقوله
لها ان لا تحزنى على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادى عيسى عليه
الصلوة والسلام ونص تعالى على كلامه فى مهده فقال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى
نبيا وجعلنى مباركا وقال عز وجل ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر
من حكم سليمان عليه الصلوة والسلام وهو صبى يلعب فى قصة المرجومة وفى قصة
الصبى ما اقتدى به داود ابوه عليهما الصلوة والسلام وحكى الطبرى ان عمره
كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه الصلوة والسلام مع
فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون فى قوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم
رشده من قبل اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
الله تعالى قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم عليه الصلوة والسلام بعث
الله تعالى اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت
ولم يقل افعل فذلك [illegible]ده وقيل ان القاء ابرهيم عليه الصلوة والسلام فى النار
ومحـ[illegible]
[illegible] تة عشر سنة وان ابتلاء اسحق عليه الصلوة والسلام

اثنى

بالذبح كان وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم عليه الصلوة والسلام بالكوكب
والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف عليه الصلوة
والسلام وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون الاية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم واخبار غيرهم
وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السماء وقال
في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر
ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله تعالى منهما ثم
لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله تعالى عليهم وتشرق انوار المعارف
في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه
الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله
تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن رضي الله عنهما وبه قال وهو الصواب بما قد اصلناه وقد روى سعد رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة

التفسير





والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراءة والجبن غرائز
يضعها الله تعالى حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة الشريفة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم
بها ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها
فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراي وجودة
الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا
الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها
بشر سواه وان جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجاري
احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم
حديثه وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم
الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب
النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه
وسلم فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب
وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة
كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله
تعالى صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا
اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان
وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك

دون وصف
عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف
يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة
والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات
عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها
الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما
ادب الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف
الاية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل
عليه السلام عن تاويلها فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد
ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال الله تعالى
واصبر على ما اصابك الاية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور ولا خفا بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة
وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا
صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن على
التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب قال حدثنا ابو بكر بن وافد القاضي
وغيره قالوا حدثنا ابو عيسى قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى بن يحيى قال
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما
فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه



شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا
ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال
في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر
على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله انظر ما في هذا القول من جماع الفضل
ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر
صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله
لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا
في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله
عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه
فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي
سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه لم يواخذ لبيد بن الاعصم
اذ سحره وقد اعلم به واوحي اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته
وكذلك لم يواخذ عبد الله بن ابي واشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته

قولا وفعلا وبين قال لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن
انس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية
فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صحفة عاتقه — صفحة صح
ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي
من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله
وانا عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال
لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر
ان يحمل له على بعير شعير وعلى الاخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة
من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى
وما ضرب خادما ولا امراة قط وجيء اليه برجل فقيل له هذا اراد
ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت
ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا
عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا وهو كنا الى غير هذا ~~[illegible]~~ يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره — منك احوج صح
بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لما روعه عليه الصلوة والسلام فكان سبب اسلامه وذلك
انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد صلى الله عليه
وسلم الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه





الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث عن حلمه عليه الصلوة والسلام
وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح
والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى
الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه
فيهم وهم لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا
وصفح وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال صلى الله
عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون
رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا
فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم لابي سفيان
وقد سيق اليه بعد ان اجلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم
فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان
لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلوات الله
عليه وسلامه تسليما كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره
بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب
ما لا يحمد عليه وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله عليه وسلم

لا يوازي في هذه الاخلاق الكريمة ولا يباري وبهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله قال حدثنا القاضي
ابو الوليد الباجي قال حدثنا ابو ذر الهروي قال حدثنا ابو الهيثم الكشميهني
وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي قالوا حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا
البخاري قال حدثنا محمد بن كثير قال اخبرنا سفيان عن ابن المنكدر قال
سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول ما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن شئ فقال لا وعن انس وسهل بن سعد رضي الله عنهما مثله
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس
بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام
اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس رضي الله عنه ان رجلا سأله فاعطاه
غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى
فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم
مائة وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له
ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه
تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا
حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندي شئ ولكن ابتع علي فاذا
جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر
عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل من الانصار يا رسول
الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف
البشر في وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء

في نسخة شيئا قط

سنة



قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب
يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى
الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى رجل النبي صلى الله
عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف
وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم
في الفتوة على رأيهم واصطلاحهم في الفاظهم وهي غاية الكرم والايثار
ان هذا الخلق بكماله لا يكون الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل
واحد في القيمة يقول نفسي نفسي ويقول محمد صلى الله عليه وسلم امتي امتي
فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد فعلها دون
خوف وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل وقد حضر
المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو صلى الله عليه وسلم
ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له
فرة وحفظت عنه جولة سواه صلوات الله عليه وسلامه حدثنا
ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي سراج قال حدثنا ابو محمد الاصيلي
قال حدثنا ابو زيد الفقيه قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد
ابن اسمعيل قال حدثنا ابن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة
عن ابي اسحق انه سمع البراء رضي الله عنه وسأله رجل افررتم يوم حنين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه

وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ
بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره انا
ابن عبد المطلب قيل فما روي يومئذ احد كان اشد منه وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه
قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها اكفها ارادة
ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شيء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود
ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا
اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان اشد الناس
يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا
العدو لقربه منه وعن انس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق
ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا وقد سبقهم
الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو
يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين رضي الله عنهما ما لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد
وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم



حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد
شد ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من
المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة
من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر
البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة
تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش
وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس
لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى
مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان
عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل
عما يكرهه الانسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء
واكثرهم عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي
منكم الآية وحدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد
المروزي قال حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال
حدثنا عبدان قال اخبرنا عبد الله قال اخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت
عبد الله مولى انس عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا
عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه
احدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا
ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى
انس رضي الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه
احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة
رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا
الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهم وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه
احد وانه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله
عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته
وادبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به
الاخبار الصحيحة وقال علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع
الناس صدرا واصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا
ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا
ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الاعرابي قال
حدثنا ابو داود قال حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا
الوليد بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد رضي الله عنه قال
زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول



الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه
ويتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم
ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا
مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن
السيئة الآية وكان صلى الله عليه وسلم يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت
كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته
وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله رضي الله
عنه ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان
صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى
في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ

احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له
وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير قط مادا رجليه
بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره
بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه ويدعوهم
باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز فيقطعه
بنهي او قيام وير وى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا يجلس اليه احد وهو
يصلي الا خفف صلوته وسئله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر
الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال
عبد الله بن الحارث رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه قال كان خدم المدينة يأتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى بانية الا غمس
يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل
واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين قال بعضهم من فضله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعطاه اسمين من
اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا
الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه قال حدثنا امام الحرمين
ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي
قال حدثنا ابرهيم بن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال حدثنا ابو
الطاهر قال اخبرنا ابن وهب قال اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه



نسخة من النعم

وسلم صفوان بن امية مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب
حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه
لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا
جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت
فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل
اليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئا ثم قال له احسنت اليك قال نعم فجزاك الله
من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس
اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في
صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا
الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي
فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها
حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث
قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليهم وانا
سليم الصدر ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه عنهم وتسهيله
عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه الصلوة والسلام
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهيته دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه تعالى ان يجعل
سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي

عز فقال إنما
وفي الحديث اللهم إنما أنا
بشر أغضب كما يغضب البشر
... عنده عهدا
... فأيما رجل ...

فيتجوز في صلوته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال
ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة ورحمة وصلوة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه الصلوة والسلام فقال له
ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده
ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال للنبي صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل
الله تعالى ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها
ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم
حدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد
قال حدثنا ابو اسحق الحبال قال حدثنا ابو محمد بن النحاس قال حدثنا ابن الاعرابي
قال حدثنا ابو داود قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا
ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله
ابن ابي الحمساء رضي الله عنه قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث
وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس
رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة





فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها
واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان
ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها
وقد صلى عليه الصلوة والسلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد
وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي
صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
واني احب ان اكافيهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت
له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت
الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا
غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه
قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو بن السائب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه
ثم اقبلت امه من الرضاعة فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل
اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه
وكان يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من
بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله
عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق **فصل** واما تواضعه صلى الله عليه وسلم

ثابت في



على علو منصبه ورفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا
وحسبك انه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عليه الصلوة والسلام عند ذلك
فان الله تعالى قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق
الارض عنه واول شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله
بقرطبة سنة سبع وخمسمائة قال حدثنا ابو علي الحافظ قال حدثنا ابو عمر قال
حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا ابن داسة قال حدثنا ابو داود قال حدثنا
ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا عبد الله بن نمير قال عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم
بعضها بعضا وقال انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان صلى
الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب
دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث
عمر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى
عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امرأة
كان في عقلها شيء جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي
يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة
على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة
السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة



ما تساوي اربعة دراهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لا رياء فيه
ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى في حجه ذلك مائة بدنة
ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك
من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير
البرية قال ذاك ابرهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى
وعن عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم في صفته صلى الله عليه وسلم
وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع الخادم
ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه ان كانت الامة من اماء
اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى
تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك
فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وارجح
وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا
تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله
فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف
الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل
نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله تعالى فيه من الاخلاق الصالحة

وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت
قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي
صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به
وعن الربيع بن خثيم قال كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض
حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه قال حدثنا أبو الفضل بن خيرون
قال حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن
محبوب المروزي قال حدثنا أبو عيسى الحافظ قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا
معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي إسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله
عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما
جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما
فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم
ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل
والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم
أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك
رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم أصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار



أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه قال أبو العباس المبرد
رحمه الله قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر
للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ
نهاره ثلثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين
الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي
فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر وعن الحسن
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على
أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت
بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله تعالى برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي
لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول
دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني
فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك
ثم إني لم أهم بعد ذلك بسوء فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته
ومروءته وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال
حدثنا أبو العباس الدلائي قال حدثنا أبو ذر الهروي قال أخبرنا أبو عبد الله الوراق
قال حدثنا اللؤلؤي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا عبد الرحمن بن سلام قال حدثنا
حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب قال سمعت خارجة
ابن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من
أطرافه وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم
محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث
قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما
وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له
واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم واذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته
يخطو تكفئا ويمشي هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى
مشى مجتمعا يعرف في مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال
عبد الله بن مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر
ابن عبد الله قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل
قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت
عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا
ويحض عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل مما
يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة **فصل**
واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك
من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه
فتوحها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة
عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي
والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن عمر قال





حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان
قال حدثنا ابو الحسين بن الحجاج قال حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا
ابو معاوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله
وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر
ببال وفي رواية اخرى ما شبع ال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى
لقي الله تعالى وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا
ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي
الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي
صلى الله عليه وسلم اني عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه
فقال له ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه السلام ثبتك الله يا محمد
بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت انا كنا ال محمد لنمكث شهرا ما نستوقد
نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة
وابن عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله عنه

قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له
مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها قالت انما كان فراشه
الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها قالت كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح
قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة صلاتي
وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه
ولو شاء سال ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى
به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك
فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مابهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت
في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
فما اقام بعد الا اشهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه صلى الله عليه وسلم
ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه عز وجل ولذلك قال فيما حدثناه
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال حدثنا ابو القاسم الطرابلسي قال حدثنا ابو الحسن القابسي
قال حدثنا ابو زيد المروزي قال حدثنا ابو عبد الله الفربري قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال
حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله
عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر رضي الله عنه اني ارى ما
لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع



الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت
اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو
اصح وفي حديث المغيرة رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه
وفي رواية انه كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة
رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا
الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا ثم قام يصلي فقمت معه فبدا
فاستفتح البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسال ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال
مثل ذلك ثم قرا آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله عنه
مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرا البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال اتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله
عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله
عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل

اصل ديني والحياء لباسي والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي
والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة
وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم
وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم
من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها
صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله وسلامه عليهم
اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض
قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد قال عليه الصلوة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه الصلوة والسلام
طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى
عليه الصلوة والسلام فاذا هو رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت
عيسى عليه الصلوة والسلام فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما
خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابرهيم
به وقال في حديث آخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى نبيا من بعد لوط
الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن
قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه قال ما بعث الله
نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل





تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب عليه الصلوة والسلام انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا
وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا الى الصالحين وقال تعالى ان الله اصطفى آدم
ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران الايتين وقال تعالى في نوح انه كان عبدا شكورا وقال
تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال تعالى اني عبد الله آتاني الكتاب
الى ما دمت حيا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال
النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شي استحياء
الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال تعالى في وصف جماعة منهم اني لكم
رسول امين وقال تعالى ان خير من استأجرت القوي الامين وقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل وقال تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله تعالى فبهداهم اقتده
فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى
فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم
الى امين وقال تعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى في اسمعيل انه كان
صادق الوعد الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب
وقال تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال تعالى عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وقال تعالى عن شعيب ستجدني ان شاء الله من
الصالحين وقال تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن

اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله عليه الصلوة
والسلام انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي ابن
نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
وروي ان سليمان عليه الصلوة والسلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السما
تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحي اليه
يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه الصلوة والسلام ما لك
تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة رضي الله
عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القران فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا
القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات
وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه
الصلوة والسلام احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا
بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها
وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام
لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن
له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين وقيل ان موسى
عليه الصلوة والسلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال
وقال عليه الصلوة والسلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك



احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه الصلوة والسلام لخنزير لقيه
اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى عليه الصلوة والسلام العشب وكان يبكي من خشية الله حتى
اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري
عن وهب ان موسى عليه الصلوة والسلام كان يستظل بعريش وياكل في نقرة من حجر
ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم
في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل
معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين
والمفسرين مما يخالف هذا **فصل** قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل
المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلينا من الاثار
ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه
بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل
وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه
من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه
لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعالى
بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة حدثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي
فيما قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري
والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن
ابن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي
قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن

سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمر بن عبد
الرحمن العجلي املاءً من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج
خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن
ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي
ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذاذا
الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون
قالا حدثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءةً عليه فاقر به قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن
ابن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي
قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر
ابن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال قال الحسن بن علي رضي
الله عنهما واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر
اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت عقيقته
فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر اللون واسع الجبين
ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور
يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم
اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين



ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين
ماسوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائل الاطراف سبط العصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا
ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ
من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل
الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح
الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه
ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا
اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى
راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم
ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله كله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سألت ابي رضي الله عنهما عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى
الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لاهله وجزءا لنفسه ثم جزأ
جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان
من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم
ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم

والائمة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد
غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون رُوّادًا ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه
عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسئل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل
الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد ولا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم
نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على
ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به
المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم
عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله
حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى
صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة
ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول



الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم
احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده
انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويعجب مما يعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه
ولا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء
او قيام ههنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله
عليه وسلم قال كان سكوته صلى الله عليه وسلم على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى
وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر
اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته
والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل
في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو
مثل قوله في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر
قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها
فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن
ومنه زهرة الحيوة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق
ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم الاسمر اللون ومثله في الحديث الاخر
ابيض مشرب بحمرة اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى

الشائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والازج
الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذي
في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها
وتحزيزها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة
خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر
ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي
الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن
والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام
وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب
والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين
وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف
او قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما
على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت
مفصلة في الحديث الاخر ورحب الراحة اي واسعها وقيل كنى به عن سعة
العطاء والجود وخمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي
لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال
ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ





بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا
سمي المسيح عيسى بن مريم اي لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف
قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده
والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة
ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة
كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه
والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة
اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة
ويدخلون روادا اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل
عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء
الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ للصلاة موضعا
معلوما وقد ورد نهيه عليه الصلوة والسلام عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث
وصابر اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء
ولا تثنى فلتاته اي يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت
ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل
مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي
صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث اخر في وصفه صلى الله عليه وسلم
منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها والله اعلم **الباب الثالث**
فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين
من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر وسيد ولد آدم

وافضل الناس منزلة عند الله تعالى واعلاهم درجة واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث
الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني
ماورد منها في اثني عشر فصلا **الفصل الاول** فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه
والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا
من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب صلى الله عليه وسلم **اخبرنا** الشيخ ابو محمد عبد
الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال **حدثنا** ابو الحسن الفرغاني قال **حدثتنا** ام القاسم
بنت ابي بكر بن يعقوب **عن** ابيها قال **حدثنا** حاتم وهو ابن عقيل **عن** يحيى هو ابن
اسمعيل **عن** يحيى الحماني قال **حدثنا** قيس **عن** الاعمش **عن** عباية بن ربعي **عن** ابن
عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من
اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك
قوله تعالى واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا
خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم
شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل
بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنهما قال قالوا يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اصطفى من ولد آدم
ابرهيم واصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس
رضي الله عنه انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا





اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة رضي الله عنها عنه عليه الصلوة
والسلام اتاني جبريل عليه الصلوة والسلام فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها
فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل
ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض
وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابرهيم عليه الصلوة
والسلام ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي
الله عنه عمه فيه بقوله ⁂ من قبلها طبت في الظلال وفي ⁂ مستودع حيث
يخصف الورق ⁂ ثم هبطت البلاد لا بشر ⁂ انت ولا مضغة ولا علق ⁂ بل نطفة
تركب السفين وقد ⁂ الجم نسرا واهله الغرق ⁂ تنقل من صالب الى رحم ⁂ اذا مضى عالم
بدا طبق ⁂ في ابيات اخر وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن
عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها
ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
وايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت
الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه
وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت
الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود
والحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الآخر
عن ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء

بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون
وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم اني فرط لكم وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني
والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي
لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش
وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة وفي رواية ابن وهب انه صلى
الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابرهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي
ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك
وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك
وفي حديث آخر رواه حذيفة رضي الله عنه بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي
من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع
امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا واطيب
لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء
الا وقد اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحى
الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته
ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء عليهم الصلوة والسلام ذهبت للحين ولم يشاهدها





الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم
القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى
هذا الخبر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته
واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها
رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار
وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم عليهما الصلوة
والسلام وبشارة عيسى بن مريم عليه الصلوة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن
يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا
الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الاية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن
معدان رضي الله عنه ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول
الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك
رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم يعني قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور
بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف
بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث آخر ثلاثة
رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث

من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال
في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وأمرّ
الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام
قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم قال احدهما لصاحبه
زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم
فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك
فلو وزنته بامته كلها لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني الى صدورهم
وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله
معك وملائكته قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني فكانما
ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم
عليه الصلوة والسلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي
ويروى تقبل توبتي فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع
من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت
انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى
فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وفي رواية الآجري فقال آدم عليه الصلوة والسلام
لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول
الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله
اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان





آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن
يونس انه قال ان لله تعالى ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد
اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله
الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله
تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر
كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس
رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا
الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر مكتوب محمد رسول
الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله
الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه
وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة
يقولون ما من بيت فيه اسم محمد صلى الله عليه وسلم الا نما ورزقوا ورزق
جيرانهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلثة وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم
قط في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك لهم
رواه جماعة منهم ابن عباس وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ان الله تعالى

نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله
تعالى فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله
صلى الله عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة
الانبياء عليهم الصلوة والسلام والعروج به عليه الصلوة والسلام الى سدرة
المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم قصة
الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى الاية وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه الكبرى
فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القران
وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه
احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بكر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي
وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري قال حدثنا ابو العباس الرازي
قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم بن الحجاج قال
حدثنا شيبان بن فروخ قال حدثنا حماد بن سلمة قال حدثنا ثابت البناني عن
انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو
دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى
اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت





اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من
انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا
فاذا انا بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى
الله عليهم وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل
الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
عليه الصلوة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون عليه الصلوة والسلام
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
عليه الصلوة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر
مثله فاذا انا بابرهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا
هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت قال فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما
اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون
ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون
ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى

حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله جوّد
ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات احد عنه باصوب من هذا
وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر
في اوله مجي الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي
وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسرا
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا مجي جبريل
عليه الصلوة والسلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره
وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجوّد
في القصتين وفي ان الاسراء الى البيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة
واحدة وانه وصل الى البيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه
غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر رضي الله عنه يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري
ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها
في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى قتادة
الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص
وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث





الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه
قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابرهيم عليهما الصلوة والسلام
فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة
المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى عليه الصلوة والسلام بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام
بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله
عنه وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال قائل يا محمد هذا
مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى
اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا
يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم
قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم
وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلوة والسلام
ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال
كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
اجمعين بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل
امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع
عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم
ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج
به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى اذ يغشى



السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق
الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على
سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها
الملائكة قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل
فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت
داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص
واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تبارك
وتعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس
كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة
حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا
واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة
من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية
الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس
واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات
وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل عليه الصلوة والسلام
في صورته له ست مائة جناح وفي حديث شريك انه رأى موسى عليه الصلوة والسلام
في السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله





تعالى فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد روي عن انس رضي الله عنه انه
صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلوة
والسلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة
وقعدت في الاخرى فسمت حتى سدت الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا
اقلب طرفي فنظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله تعالى علي وفتح لي
باب السماء ورايت النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجه الدر والياقوت
ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان جاءه جبريل عليه الصلوة
والسلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل
عليه الصلوة والسلام اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه
وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن عز وجل فبينا هو كذلك اذ خرج ملك
من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك
بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر
ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله
لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي
على الصلوة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم
فقدمه فام اهل السماء فيهم آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام قال ابو جعفر
محمد بن علي بن الحسين راويه اكمل الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل
السموات والارض قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب

فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق تعالى فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه
عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه
وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب
يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه
من سلطانه وعظمته وعجايب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول
جبريل عليه الصلوة والسلام عن الملك الذي خرج من ورائه ان هذا الملك
ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات الشريفة
ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله عز وجل لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقايق معارفه
مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء
حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو
لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه
عز وجل فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى
رآه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او بجسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانها رؤيا منام مع
اتفاقهم على ان رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حق ووحي والى هذا ذهب
معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم
وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوه عن عائشة رضي الله



عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول
انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في اخرها فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة
وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك
ابن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وسعيد بن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة
وابن جريج وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة
عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس والى السماء
بالروح واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح
بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة بالاسراء اليه قال
هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ
في المدح ثم اختلف هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس
رضي الله عنه وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان
وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله تعالى والحق
من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
تدل الاية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا
عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان ذلك
مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء

من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا
ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته صلى الله
عليه وسلم بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر
مجيء جبريل عليه السلام له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن
معك فيقول محمد ولقائه الانبياء عليهم الصلوة والسلام فيها وخبرهم معه وترحيبهم
به وشأنه في فرض الصلوة وفي مراجعته مع موسى عليه السلام في ذلك وفي بعض
هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت
بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة
ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه
وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه
فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي
فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ رضي الله عنها ما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام
بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا
قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت
المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون وهذا بين في انه
بجسمه وعن ابي بكر رضي الله عنه من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة
في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات



ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدري ثم
غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس رضي الله عنه
اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسئلني عن مسراي فسألتني عن
اشياء لم اثبتها فكربت كربا شديدا ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى الي
انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة رضي الله عنها وما تحولت
عن جانبها **فصل** في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده يرده
لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله تعالى فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص
اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون
في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية فذهب
بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل
غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان
وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما
في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله
ثم استيقظت يعني اصبحت او استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته صلى الله عليه وسلم
ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليلته وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض وخامر

باطنه من مشاهدة الملإ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع
الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر وقد قيل الانبيا
عليهم الصلوة والسلام حتى تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا قال فان تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله تعالى
ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلوته بالانبياء ولعله كانت له في هذا الاسراء حالات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله
في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة
عنه بينا انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى
بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا
وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة
في هذا الحديث انما هي من رواية شريك عن انس فهي منكرة من روايته اذ شق
البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلوة والسلام وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع كان بعد المبعث
فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس مع ان انسا رضي الله عنه قد بين من غير طريق
انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك
بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان
ابو ذر يحدث واما قول عائشة رضي الله عنها ما فقد جسده عليه الصلوة والسلام
فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجته ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول
الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة





في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل
قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا
لم تشاهد ذلك عائشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على
خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس
حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت
فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله
عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة
عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر الى البصر وقد قال
اهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل
صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأت عينه صلى الله عليه وسلم فصل واما رؤيته
صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها
حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله
بن عتاب الفقيه قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث قال حدثنا ابو الفضل الصقلي
قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي قال
حدثنا محمود بن آدم قال حدثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال
لعائشة رضي الله عنها يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت
لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن
مسعود وغيره ومثله عن ابي هريرة انه قال انما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام

واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين
والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رآه بعينه وروى عطا
عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق
ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه فقال نعم والاشهر عنه
انه رأى ربه بعينيه روى ذلك عنه من طرق وقال ان الله تعالى اختص موسى
بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي
قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فرآه
محمد صلى الله عليه وسلم مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو
الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس
وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد رأى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله تبارك وتعالى قسم رؤيته وكلامه
بين محمد وموسى عليهما الصلوة والسلام فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه وروى شريك
عن ابي ذر رضي الله عنه في تفسير الآية فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه
وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني وروى مالك بن يخامر
عن معاذ عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر
كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان
يحلف بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق ان مروان سئل ابا هريرة رضي الله عنه هل
رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى النقاش عن احمد بن حنبل رحمه الله



انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع
نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول
برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره
وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى
عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل عليه السلام
وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه عليه
الصلوة والسلام رأى الله تعالى ببصره وعيني رأسه وقال كل آية اوتيها نبي
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم
وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه
دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله عنه والحق الذي
لا امتراء فيه ان رؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز
على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسئل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل
رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى عليه السلام واثبت وهو الجبل
وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة
ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية
واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها

على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما
يدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك
لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على
العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص
الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق التاويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اى من سؤالي ما لم تقدره لي
وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى
في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات
والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا
قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رأيت
نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى
من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم
ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكهما بقوة
الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي
ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله
فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله تعالى له
واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه



فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل
هو ظهوره له حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا
ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله
عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص
بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فليس فيه
قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال
لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه
ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب
الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروي نورا اني
اراه وحكى بعض شيوخنا انه روي نوراني اراه وفي حديثه الاخر سألته
فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان
الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه
عن رؤية الله تعالى والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب
النور المغشي للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث
الاخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر
على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره فان ورد
حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع
قطعي يرده والله هو الموفق تعالى فصل واما ما ورد في هذه القصة من مناجاة
الله تعالى وكلامه معه بقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث

فأكثر المفسرين على أن الموحي الله تعالى إلى جبريل وجبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم
إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى إليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا صلى الله عليه وسلم
كلم ربه في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره
آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى ثم دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت
كلام ربي وهو يقول لي ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء
حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب
كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء عليهم السلام وأكثر أحوال
نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا
المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله عليه
وسلم دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث الإسراء
ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية فذكر فيه فقال
الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال
في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل
بعد هذا مع ما يشبهه وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع
يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق
مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه
على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم





فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع منه صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق
هذا أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض
درجات **فصل** وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب
من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام أو مختص بأحدهما من الآخر
أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا فتدلى
من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب وحكى
مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه
وسلم فتدلى إليه أي أمره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد
صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته
قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات
وسمعت كلام ربي وعن أنس رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء
وأوحى إليه خمسين صلوة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله
عليه وسلم دنا محمد من ربه عز وجل فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه
ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له
ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب
جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان
فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس

بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو
النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة
وتأنيس وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا
على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم
انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني
عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله فكان قاب قوسين او ادنى فمن
جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب
ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم
وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة
والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة اي قرب بالاجابة والقبول واتيان
بالاحسان وتعجيل المأمول فصل في ذكر تفضيله عليه الصلوة والسلام في القيمة
بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي قال حدثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا
حدثنا ابو يعلى قال حدثنا السنجي قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي
قال حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي قال حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث
عن الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا
لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع
بن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم
اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم





اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف
علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة
من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
سيد ولد آدم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ
آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم
القيمة واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا
اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم
الاولين والآخرين ولا فخر وعن انس رضي الله عنه انا اول الناس يشفع في الجنة
وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين فذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم
الانبياء اجرا يوم القيمة وفي حديث آخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم
يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى
اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة وهو
سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه الصلوة والسلام لانفراده فيه بالسودد
والشفاعة دون غيره اذ لجاء الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو
الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه

احد فى ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملك
لله تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا
وكذلك لجاء الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم
فى الاخرة دون دعوى وعن انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح
لاحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى
مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابى ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه
ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفى رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وقد روى
حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعى
والمستورد وابو برزة الاسلمى وحذيفة بن اليمانى وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة
وابو سعيد الخدرى وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة
واسماء بنت ابى بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضى الله عنهم اجمعين

فصل فى تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص
صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره
عن كريمة بنت احمد حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه قال حدثنا
القاضى ابو الوليد قال حدثنا عبد بن احمد قال حدثنا ابو الهيثم قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن
يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا ابو عامر قال
حدثنا فليح قال حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى





صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وفى حديث
اخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا
وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ
ابرهيم من خلقه خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر
فعيسى كلمة الله وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت
كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك
وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله
ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر
وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى وفى حديث اخر فيدخلنيها ومعى فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب فى
التورية انت حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل رحمه الله اختلف فى تفسير الخلة واصل
اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء
وسمى ابرهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه وخلة الله تعالى له نصره وجعله اماما
لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها
ابرهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل
غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو فى المنجنيق ليرمى به فى النار فقال الك حاجة
قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة التى توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع

والتشفيع وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال وهذا والخلة
هنا اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة
والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن
دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطاف
عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم
الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت
متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب
القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وبعضهم قال
درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه
وقد اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة
ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل
الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته
وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه
حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم
من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله





واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن برضاه يرضى وبسخطه
يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله ٥ قد تخللت مسلك الروح مني ٥ وبذا سمي الخليل
خليلا ٥ فاذا ما نطقت كنت حديثي ٥ واذا ما سكت كنت الغليلا ٥ فاذا مزية الخلة
وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة
المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية حكى اهل التفسير
ان هذه الآية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى
فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا
بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله لا يحب
الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا
يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض والحبيب يصل لحبيبه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم
الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم الآية والخليل
قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال
والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي
لسان صدق في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل
قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

## فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى

ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي
بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي قال حدثنا ابو محمد الاصيلي قال حدثنا ابو زيد
وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا اسمعيل بن
ابان قال حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول ان
الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان
اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام
المحمود وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة ونحوه عن كعب والحسن
وفي رواية كعب بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام
المحمود وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن
ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين لا ولكنها للمذنبين الخاطئين وعن
ابي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم





دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله تعالى ان يؤتيني شفاعة
يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك
والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا
اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فيبقى اخر
زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم
فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعد في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي
يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار
وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فهذا هو المقام المحمود الذي
وعده وعن سلمان ان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة
وقال قتادة كان اهل العلم يرون ان المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود
هو مقامه عليه الصلوة والسلام يوم القيمة للشفاعة هذا مذهب السلف من الصحابة والتابعين
وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم
وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا يثبت ذلك اذ لم يعضدها
صحيح اثر ولا سنده نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي صلى الله
عليه وسلم في صحيح الآثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات في كتاب ولا سنة

ولا اتفقت على المقال برامة وفي اطلاقه ظاهره منكر من القول وشنعة وفي روا
انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه وسلم
يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه فتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون
آدم عليه السلام زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا
عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك
الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وفي
رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة رضي الله
عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل الله
فيأتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن
فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي
لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه
وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس
نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فيأتوني فاقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي عز وجل فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت





ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده
بمحامد لا اقدر عليها الان الا ان يلهمنيها الله تعالى وفي رواية فيفتح الله علي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه فيقال
يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي
فيقال ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه
ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل
الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم
وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر
في المرة الرابعة فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول
يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي
وكبريائي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله وفي رواية قتادة عنه قال
فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي
وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة رضي الله عنهم مثله
قال فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي
الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع
فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه
وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية
ابي هريرة رضي الله عنه فاكون اول من يجيز يومئذ وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى

الله عليه وسلم يوضع للأنبياء منابر من نور يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه
قائما بين يدي ربي عز وجل منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك
فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من
يدخل الجنة بشفاعتي ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد أمر بهم إلى النار حتى
أن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق الأرض
عن جمجمته ولا فخر وأنا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وأنا أول
من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فأقول محمد فيفتح لي
فيستقبلني الجبار جل جلاله فأخر له ساجدا وذكر ما تقدم ومن رواية أنس سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأشفعن يوم القيمة لأكثر مما في الأرض من حجر
وشجر فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته صلى الله عليه وسلم
ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر
ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع صلى الله عليه
وسلم حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث
عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته
إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم
حسب ما يقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى
الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة
لأمتي يوم القيمة قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم
وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد
لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون





بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة في هذا الحديث
لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم
القيمة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون
هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر صلى الله عليه
وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر
لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله عنا
أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا فصل في تفضيله
في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو علي
الغساني قال حدثنا النمري قال حدثنا ابن عبد المؤمن قال حدثنا أبو بكر التمار قال
حدثنا أبو داود الحافظ قال حدثنا محمد بن سلمة قال حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة
وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فإنه من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة
فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله
لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة
وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة
إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله
قال ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال
ومجراه على الدر والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو



يجري ولم يشق شقاً عليه حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن
عباس رضي الله عنهما وعن ابن عباس ايضاً قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال
سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة رضي الله عنه
فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل واعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر
من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج
والخدم صلى الله عليه وسلم **فصل** فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر واجماع
الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عليه
الصلوة والسلام عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي
قال حدثنا الفارسي قال حدثنا الجلودي قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا مسلم قال
حدثنا ابن مثنى قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت ابا
العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا
الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث
ابي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه
ولا اقول ان احداً افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال
يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه
عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل





بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احداً افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما
هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني انه صلى الله عليه وسلم قاله على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلاً
يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله
تعالى عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فربما
يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء عليهم الصلوة والسلام فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم
اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكاناً علياً ومنهم من اوتي الحكم صبياً واوتي بعضهم
الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل
العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته ابهر
واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى
ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله تعالى
من الطافه وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة
اثقالاً وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة
من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته
ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعاً الى القائل نفسه اي لا يظن احد

وان بلغ من الزكاة والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله
عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل
ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك
الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه صلى الله عليه وسلم
وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر
الحافظ قال حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال حدثنا محمد بن وضاح
قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير مطعم عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله تعالى
في كتابه محمدا واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم
شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد
فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين
واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره
وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من
عجايب خصائصه وبدايع اياته فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه
اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد
غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد
ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم
وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون





احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي ومحمد
ابن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي
ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من سمي محمد محمد بن سفيان واليمن يقول بل محمد
ابن يحمد من الازد ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر
عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع
فيهما واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث
ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد
تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيئات من اتبعه وقوله صلى الله عليه وسلم وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي فيروى على عقبي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي
كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وفي الصحيح وانا العاقب
الذي ليس بعدي نبي وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم
صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي على قدامي وحولي اي يجتمعون الي في القيمة وقيل
قدمي سنتي ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب
المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه الصلوة
والسلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه
انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر
غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا
وجدته ولم اروه واري ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير

وقد وقع ايضاً فى كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمداً
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه صلى
الله عليه وسلم لى فى القران سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمدثر
والمزمل وعبد الله وفى حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه هى ست محمد واحمد
وخاتم وحاشر وعاقب وماح وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه
كان صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر
ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح
ان شاء الله ومعنى المقفى معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين واما نبى الرحمة والتوبة
والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه
تعالى بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين
رؤف رحيم وقد قال فى صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالمرحمة اى يرحم بعضهم بعضاً فبعثه صلى الله عليه وسلم
ربه تعالى رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيماً بهم ومترحماً ومستغفراً لهم وجعل
امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم واثنى
عليهم فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء واما رواية نبى الملحمة فاشارة
الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهى صحيحة وروى حذيفة
مثل حديث ابى موسى وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى فى حديثه
صلى الله عليه وسلم انه قال اتانى ملك فقال لى انت قثم اى مجتمع اهل بيته قال
والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو فى اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم وقد جاءت
من القابه عليه الصلوة والسلام وسماته فى القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور





والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق
المبين وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله
والعروة الوثقى والصراط المستقيم وطه ويس والنجم الثاقب والكريم والنبى الامى
وداعى الله فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها فى كتب الله تعالى المتقدمة
وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى
والمجتبى وابى القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقى والمصلح
والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد آدم وسيد المرسلين
وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة
والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى
الله عليه وسلم فى الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس
وروح الحق وهو معنى البارقليط فى الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين
الحق والباطل ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه
طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار قال ثعلب فالخاتم
الذى ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقاً وخلقاً ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه ايضاً فى التورية احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى
صاحب القضيب اى السيف وقع ذلك مفسراً فى الانجيل قال معه قضيب من حديد
يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه صلى الله
عليه وسلم وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة العصا
واراها والله اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاى

لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ومعناه لاجلهم التاج العمامة ولم تكن
حينئذ الا للعرب والعمايم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته صلى الله
عليه وسلم في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروى عن انس رضي الله عنه انه لما ولد له ابرهيم جاءه جبريل عليه السلام
فقال له السلام عليك يا ابا ابرهيم فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه
الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله ما احرى هذا
الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن
لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه
الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فراينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله
تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم
وابرهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم
وايوب بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل
محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة
كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق
اسمين ولا من تفرغ فيها التاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحوا من ثلاثين اسما
ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان
ويفتح غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد
فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من
حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله ٠ وشق له من اسمه ليجله ٠ فذو العرش
محمود وهذا محمد ٠ ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه





بذلك فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمحقق
امره وكذلك المبين اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال تعالى حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى
لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك
لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا فقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا وقال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه
الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم
وسماه الله تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه
السلام وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله
عليه وسلم ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي
صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في اول سفر من التورية عن اسمعيل عليه السلام
وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود
عليه السلام بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك
ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم او لقهره

اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره وقد نفى عنه تعالى فى القران جبرية التكبر التى لا تليق
به فقال تعالى وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشىء او العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبى
صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى صلى الله عليه وسلم
والمسؤل الله تعالى فالنبى صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما
اعلمه الله به من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن الله فى اعلامهم به ومن اسمائه تعالى
الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح
قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
اى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره
عن ابى هريرة رضى الله عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى
صلى الله عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون
الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق
والايمان والناصر للحق والمبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم فى الانبياء والخاتم لهم
كما قال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى الحميد
الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا
عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه
فقال افلا اكون عبدا شكورا اى معترفا بنعم ربى عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى
فى الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة وقد وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه
فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة



ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل
وجودها والباقى بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت
اول الانبياء فى الخلق واخرهم فى البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى
الله عنه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام نحن الاخرون السابقون وقوله صلى الله عليه وسلم
انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين
واخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه
الله تعالى بذلك فقال ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلوة والسلام
ومن اسمائه تعالى الصادق فى الحديث الماثور وقد ورد فى الحديث ايضا اسمه صلى الله عليه وسلم
بالصادق والمصدوق ومن اسمائه تعالى الولى والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم
الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم انا اولى بكل مؤمن وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين وقال
عليه الصلوة والسلام من كنت مولاه فعلى مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف
الله تعالى بهذا نبيه فى القران والتورية وامره بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال تعالى فاعف
عنهم واصفح وقال له جبريل عليه السلام وقد سأله عن قوله تعالى خذ العفو قال ان تعفو
عمن ظلمك وقال فى التورية والانجيل فى الحديث المشهور فى صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل
الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير طه انه يا طاهر يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
وقال الله تعالى له وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى
من يشاء الى صراط مستقيم وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى فهو فى حقه بمعنى الدلالة

عليه الصلوة والسلام ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد
نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين
مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه
معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن
ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين
وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله ثم احتوى
بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي
والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال صلى الله
عليه وسلم انا امنة لاصحابي واصحابي امنة لامتي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى
القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس به لانه يتطهر
فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء عليهم الصلوة
والسلام في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه
عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع
الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى
مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى
فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه





وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا
الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه
في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه
وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات
القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك
بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء
العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد
هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات
القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا
كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري
رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد
وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله
فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة
ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه
باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من
اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل
وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول
ذي المصري رحمه الله حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج

وصنعه لها بلا امزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس
كمثله شيء والثاني تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير
لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على
التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل
والتشبيه بمنه وكرمه ورحمته انه على ما يشاء قدير لا رب غيره **الباب الرابع**
فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات قال القاضي
الفقيه ابو الفضل رحمه الله حسب المتامل ان يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد
قول من ابطل نسخ الشرايع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا
ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظم قدره عند ربه
واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها
بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من جميل
اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا
غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر
اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي



عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد
الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي
عن زرارة بن ابي اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره
ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له صلى الله عليه وسلم اعد علي كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له
طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا
هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا
بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر
الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال
الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى
عن شيء الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد وينجز الموعود
فاشهد انه نبي وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وهذا
مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل
قرانا كما قال ابن رواحة رضي الله عنه ∘ لو لم تكن فيه ايات مبينة ∘ لكان منظره ينبيك بالخبر ∘
وقد آن ان ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القران وما فيه من
برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده

والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداءً ودون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته في بعض الانبياء عليهم الصلوة والسلام وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء عليهم الصلوة والسلام او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة رفيعة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله تعالى له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه في اللغة من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قالوا ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها



وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها اذ التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن لم يأت به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم واخرهم محمد صلى الله عليهما وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاث مائة وثلثة عشر اولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه عز وجل بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحاء الوحاء اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه اي القي في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة **فصل** اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء عليهم الصلوة والسلام معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله تعالى دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية

واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن
ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه
ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم
ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو صلى الله عليه وسلم اكثر الرسل
معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان
واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور
انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف في مجيء النبي صلى الله
عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو
كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض الجاحدين
في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى
على يديه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا
القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر
انه جرت على يديه عجايب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها
من قبل الله تعالى وان ذلك بمثابة قوله تعالى صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا
من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة وجود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم
على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا القطع



بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر
منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع
الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز
كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة
عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر
عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك
على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع
الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير
من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة
الصحابة واخبارهم ان ذلك كان في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة
بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر
عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رواه كما راه
فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب
وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف
لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القران
وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته
عليه الصلاة والسلام لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على
باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطائرة واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم

تدا ولى
هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا وقمع
الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء
نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عليه الصلوة
والسلام عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق
لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما عندي
اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار
وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطريق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل
العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون
اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه
ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول
ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على
بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء
واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة رحمه الله يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند
ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل في اعجاز**
**القران اعلم** وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها
من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه **اولها** حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام
قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت



انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله تعالى لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات
وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون
ويرفعون ويضعون فياتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللال
فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير
الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها
واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير
والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل
مقول وتضافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدايعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق
على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة
رجالا واكثر في السجع والشعر سجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على
رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله الى قوله تعالى

ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران الاية وقل فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار
اقرب واللفظ اذا اتبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان
يكتب كما يريد وللاول على الثانى فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم
ويذم الهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون
عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاغراء
بالافتراء وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى اكنة مما تدعونا اليه وفى
اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم
تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله تعالى
ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة فكشف
عواره لجميعهم وسلبهم الله تعالى ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم
انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا
مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيدة
ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر الاية فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع
اخر رجلا يقرأ فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على
مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يوما نائما فى المسجد فاذا هو
بقائم على رأسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن



يحسن ويعرف كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ اية من كتابكم
فتاملتها فاذا هى قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهى قوله
تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعى انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع فى اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا
نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القران
من قبل النبى صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله عليه وسلم
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه فى فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم
ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت
قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب
وقوله تعالى ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى الاية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا الاية واشباهها من الاى بل اكثر القران حققت ما بينته من ايجاز الفاظها
وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة
منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها
وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها ثم هو فى سرد القصص الطوال واخبار القرون
السوالف التى تضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله
من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه
السلام على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها
حتى تكاد كل واحدة تنسى فى البيان صاحبتها وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ولا نفور

للنفوس من ترديدها ولا معادا ملعادها **فصل الوجه الثاني** من اعجازه
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته اليه
ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت
فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن
المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد
اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا وفي خبره الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب
بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
فقالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال
ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر
فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبيل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك
شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه
وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق



الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر
فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب
الغريب بذاته وكل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما
اذ كل واحد منها خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد
من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى
على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه
ما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء
الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت
مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى عن هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان يأتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز
واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية
واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا
ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به

لجميع الانام ومامنهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فاجلوا في ذلك خبيثة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فانبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث** من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه الصلوة والسلام وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنون في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية وقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالتهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله تعالى من الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين



وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله تعالى كفاه اياهم وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل الوجه الرابع** ما انبانا به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم

وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها
القران فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح
بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريان
وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك
لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فأتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين الى قوله الظالمين فقرع ووبخ ودعى الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف
بما جحد ومتواقح يلقى على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله
من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين **فصل** هذه الوجوه الاربعة
من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه
الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على
ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس الاية
قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال
لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله تعالى
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد
منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته
وبانت حجته صلى الله عليه وسلم صلاة دائمة الى قيام الساعة قال ابو محمد الاصيلي
من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله
عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم
وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل





الله تعالى عليه اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية
وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم
ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب
ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على
المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال الله تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان هذا القران صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه
هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية ويدل
على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني
انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت
جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي
في الصحيح عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب
بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد
قلبي ان يطير وفي رواية اخرى وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه
كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده
الرحم ان يكف عنه وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه
خلف ظهره معتمدا عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة

لايدرى بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر اليهم وقال والله
لقد كلمنى بكلام والله ما سمعت اذناى بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكى
عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكى ان ابن
المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء
اقلعى فرجع ومحى ما قد عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان
من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم الغزال البليغ الاندلس فى زمانه فحكى انه رام شيئا
من هذا فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتنى
خشية ورقة حملته على التوبة والانابة **فصل** ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية
باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء
عليهم الصلوة والسلام انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز
الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلثين
سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها
طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشئ يؤثر فى معارضته
ولا الفكلمتين فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قادح المتكلف من ذهنه
فى ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القائه فى العجز بيديه والنكوص
على عقبيه **فصل** وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة فى اعجازه وجوها كثيرة **منها**
ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الانكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب
له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع
الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات ويؤنس بتلاوته فى الازمات وسواه





من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون
تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق
على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجايبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء
ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا
سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد فامنا به **ومنها** جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها
احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على
طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ
موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى
اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذى انشأها اول
مرة ولو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب
من شئ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل هذا القران امرا وزجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا
فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا
تنقضى عجايبه ولا يخلق هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم
به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن
طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين
والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه
ولا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه
عن ابن مسعود رضى الله عنه وقال لا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين

وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح
بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب رضي الله عنه عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا
القران يقص على بني اسرائيل الذي هم فيه يختلفون وقال الله تعالى هذا بيان للناس وهدى
الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها
على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم
القران وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم
اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل
والاهواء اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظه قال
الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر حفظه للغلمان في اقرب
مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام
السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد
وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائد دون خلل تخلل فصوله والكلام الفصيح
اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه
فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون
من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر
عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم





بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل
مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم
اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام كل هذا في اوجز كلام
واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما
ذكرنا انه ذكر في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل
في باب بلاغته فلا نحب ان نعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القران وعجائبه التي
لا تنقضي وبالله التوفيق وهو المستعان فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ
الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن
محمد الحافظ من كتابه قال حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي قال حدثنا المروزي قال
حدثنا الفربري قال حدثنا البخاري قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة
وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض
طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر
ورواه عنه مسروق وانه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم
ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من ياتيكم من بلد اخر
هل راوا هذا فاتوا فسئلوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه
وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر

اهل الافاق انهم رأوه منشقاً فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر وقد رواه ايضاً
عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء الاربعة عن عبد الله بن مسعود وقد رواه غير ابن
مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن
مطعم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله
عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية
فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق
القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد
الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية
مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض
اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه
انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس
القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون
من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال
ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلاً
والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد
يعرف من امور السماء شيئاً الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري
كثيراً في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيراً ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها
من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها





وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس رضي الله عنها من طريقين ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت
الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها
غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر
قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول
لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى
يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحق لما اسري بالنبي صلى الله عليه
وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان
ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع الماء من بين اصابعه
وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث في هذا فكثيرة جداً روى حديث
نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود
رضي الله عنهم اجمعين حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا
القاضي عيسى بن سهل قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو عمر بن الفخار قال حدثنا
ابو عيسى قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله
ابن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت
صلوة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال
فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم ورواه ايضاً
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة

وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضاً حميد وثابت والحسن عن انس
وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضاً وهم نحو
من سبعين رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاوتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع
من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش
الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس
عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء
وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه
وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه
وقال بسم الله قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره اتي باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع
اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق





التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس
من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا
حضور الجماء الكثير الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له **فصل** ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه
وسلم تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ
ابن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء
من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
قال في حديث ابن اسحق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك
يا معاذ ان طالت بك حيوة ان ترى ما ههنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة
ابن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق
فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هاتين الروايتين في هذه القصة من طريق
ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى
الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة رضي الله عنه وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها
فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما
اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث
ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل
مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم

وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاث
مائة وفي كتاب مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه
سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال
عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد حتى ملأ ثوبها
وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع
قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها
في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه
في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب ابو بكر رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب
ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي
ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب
والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل**
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا
ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا
معقل عن الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه





فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث
ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص
من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله
ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع
شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط
كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار
وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب الانصاري انه صنع لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولابي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع
ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى
اسلم وبايع قال ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا
وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر
رضي الله عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن
صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها ثم قال وايم الله ما من الثلاثين والمائة
الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل

في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاث مائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم غرفت له صلى الله عليه وسلم ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربع مائة راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم



منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع مائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة رضي الله عنه اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه شيئا ولا تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب فما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر

النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال الخالد كثيرًا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظمًا عظمًا وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي وفي حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالًا بقصعة من اربعة امداد او خمسة وبذبح جزور لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسًا فجعلته في تور فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانًا وفلانًا ومن لقيت فدعوت ولم ادع احدًا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين رضي الله عنهم اجمعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر

فصل

في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد ابن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقًا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد



ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدًا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثًا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدًا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئًا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلًا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه هكذا يمينًا وشمالًا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل ترى يعني مكانًا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة

قلت اري نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن
ان يأتين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رايت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن والحجارة يفترقن
حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في الشجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله
في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء راها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن
مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد
وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها
او معناها ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث
هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته
سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم وراه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين



يديه ثم قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل
قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم ارى ركانة
مثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه فسأله آية يعلم
بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك
ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع
كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر رضي الله عنه وقال فيه ارني
آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال للاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم
فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي فقال هذا حديث
صحيح **فصل** في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه
مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل
ابن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة كلهم يحدث بمعنى
هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية
سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء
النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا

الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن
تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن
تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه
فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه
وفي حديث بريدة رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط
الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك
في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه
فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك
الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك
عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل
ابن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا العدد يقع العلم
لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط
حدثنا المهلب ابو القاسم حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري



حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن منصور
عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس
رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر
انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي رضي الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر
الاسود وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر
ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى
الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير
وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه
انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا وقال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله
وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي انه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له ثبير
اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك وانت على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم

وا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير
انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان
حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء
الحق وزهق الباطل فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب
في ابتداء امره اذا خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم
حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة
للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له
ولا تسجد الا لنبي صلى الله عليه وسلم وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه
فصل في الايات وضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ
حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم
ابن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل
حدثنا يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا
داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب
واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا
فقال من هذا قالوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا امنت بك
او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله





عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى
القيمة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة
رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك
وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى
الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس
فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس
بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للراعي قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث
الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال
الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده
قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها
حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله
عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب هذه القصة والمحدث
بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب
اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن
حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب
فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا

وقد روى مثل هذا الخبر والتجرى لابى جهل واصحابه وعن ابن عباس بن مرداس
لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله عليه وسلم
فاذا طائر سقط فقال يا عباس تعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
ابن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله عليه وسلم وامن به وهو على بعض حصون خيبر
وكان فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله عز
وجل سيؤدى عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت
الى اهلها وعن انس رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائط انصارى وابو بكر
وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضى الله عنه نحن
احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابى هريرة رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه
وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن ابى مالك وجابر بن
عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه الجمل
فلما دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك بين يديه
فخطمه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شىء الا يعلم انى رسول الله الا
عاصى الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابى اوفى رحمه الله وفى خبر اخر فى حديث
الجمل ان النبى صلى الله عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفى
رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه
شكى الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملوه فى شاق من صغره فقالوا نعم وقد روى فى قصة
العضباء وكلامها النبى صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها فى الرعى وتجنب الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد
موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ذكره الاسفرائنى وقد روى ابن وهب ان حمام مكة اظلت





النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة
ابن شعبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبى صلى الله
عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفى حديث اخر ان العنكبوت نسجت على بابه
فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبى صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن ام سلمة رضى الله
عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم فى صحراء فنادته ظبية يا رسول الله فقال لها ما حاجتك قالت
صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال
وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابى وقال يا رسول الله
الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روى من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقى الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر فى منصرفه مثل ذلك وفى رواية اخرى
عنه ان سفينة انكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل يغمزنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق واخذ صلى الله عليه وسلم
باذن شاة لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقى ذلك الاثر
فيها وفى نسلها بعد وما روى عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذى اصابه بخيبر
وقال له اسمى يزيد بن شهاب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور
اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وان النبى صلى الله عليه وسلم لما مات تردى
فى بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التى شهدت عند النبى صلى الله عليه وسلم لصاحبها
انه ما سرقها وانه ملكه وفى العنز التى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عسكره وقد ضما

عطش فنزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند
ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه
وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلوتنا وجعله قبلته
فما حرك عضوا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم
يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور
من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة **فصل** في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع
وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة **حدثنا** ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي
عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد
سماعا واذنا قالوا **حدثنا** ابو علي الحافظ قال **حدثنا** ابو عمر الحافظ قال **حدثنا**
ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى **حدثنا** احمد بن سعيد **حدثنا** ابن الاعرابي **حدثنا** ابو داود
**حدثنا** وهب بن بقية **عن** خالد هو الطحان **عن** محمد بن عمرو **عن** ابي سلمة **عن** ابي هريرة رضي الله
عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة
فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعته وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث
انس وفيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها
قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا
جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن
ان فخذها يكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة قال





ولم يعاقبها وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر
عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات
فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالآن اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحق ان كان
المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به
من النبوة وقال ابن سحنون رضي الله عنه اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة
وانس وجابر رضي الله عنهم وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله عليه الصلوة
والسلام الذي سحره قال الواقدي رضي الله عنه وعفوه عنه اثبت عندنا
وروي عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال
في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر احدا منا قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة
وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه
الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجرة وحروف واصوات يحدثها الله تعالى فيها ويسمعها
منها دون تغيير اشكالها او نقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر
رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا
عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات
اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي
فلا بد من شرط الحيوة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر
متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب

من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال
ان الله خلق فيها حيوة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام اللفظي والحروف
والاصوات وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه
ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة
اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقب رضي
الله عنه رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو
حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى
مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي
وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها
ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي
منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني
على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان
قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد
عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان زيد بن
خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن
حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين



كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان **فصل** في ابراء المرضى وذوي العاهات
**اخبرنا** ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراءته على غيره قال **حدثنا** ابو اسحق
الحبال قال **حدثنا** ابو محمد بن النحاس **حدثنا** ابن ابي الورد **عن** البرقي **عن** ابن هشام
**عن** زياد البكائي **عن** محمد بن اسحق **حدثنا** ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة
ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا وقال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت سيتها كذا في السير واصيبت يومئذ عين قتادة
يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه واحدهما وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمرو بن
قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وبصق صلى الله عليه وسلم على اثر سهم في وجه
ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى
قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل
اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف
عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة
اصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها
ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا فشربها
فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما
شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة
وهو ابن ثمانين ورمي ام كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرا وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل صلى الله

عليه وسلم في عيني علي يوم خيبر وكان رمدًا فأصبح بارئًا ونفث صلى الله عليه وسلم على ضربة
بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى
الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ
مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل
يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وألصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته أيضًا أن حبيب بن يساف أصيب يوم بدر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرئ
الغلام وعقل عقلًا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت امرأة بابن
لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر وسألته صلى
الله عليه وسلم جارية طعامًا وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت
إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئًا فيمنعه فلما استقر في جوفها
ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياءً منها فصل في إجابة دعائه
صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدًا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده



وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن إسمعيل حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حرمي قال حدثنا شعبة
عن قتادة عن أنس رضي الله عنهم أجمعين قال قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس
ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته ومن رواية عكرمة
قال أنس فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة
وفي رواية وما أعلم أحدًا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين
مائة من ولدي لا أقول سقطًا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم
لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته
ذهبًا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي
وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا وكن أربعًا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت
إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفًا وأوصى بخمسين ألفًا بعد
صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يومًا ثلاثين عبدًا وتصدق
يومًا بعير فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها
وبأقتابها وأحلاسها ودعا صلى الله عليه وسلم لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال
الخلافة ولسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد
إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود
رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأصاب الناس في بعض
مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت
ودعا صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا
وقال صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة رضي الله عنه أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره

وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكان ابن خمس عشرة سنة وقال صلى الله عليه وسلم للنابغة
لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن
نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس
رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد ذلك الحبر وترجمان القران
ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر رضي الله عنه بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى
شيئا الا ربح فيه ودعا صلى الله عليه وسلم للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال
ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة
فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري رحمه الله في حديثه فكان لو اشترى
التراب لربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا صلى الله عليه وسلم لام ابي هريرة فاسلمت ودعا لعلي
رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف
ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي
الله عنها ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو اية
لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف
سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فاقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم تبق له
باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا صلى الله عليه وسلم على صبي قطع
المرور عليه الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال صلى الله عليه وسلم لرجل رآه ياكل
بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال صلى الله عليه
وسلم لعتبة بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال صلى الله عليه
وسلم لامرأة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه



على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم وقال
فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا صلى الله عليه وسلم على الحكم بن ابي العاص وكان
يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم اي لا فراه فقال كذلك كن فلم يزل
يختلج الى ان مات ودعا صلى الله عليه وسلم على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الارض
ثم وري فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة والقد جانب
الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد
الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر من ان يحاط به فصل
في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم حدثنا
احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة وحدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد
وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا

حدثنا عبد الاعلى
ابن حماد

سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنهما ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او به قطاف وقال غيره
بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس رسول الله صلى الله
عليه وسلم جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك
بفرس لجعيل الاشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا
وباع من بطنها باثني عشر الفا وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
رضي الله عنه فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم
في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح
عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله



صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي
عن شيخه ابي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه
وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته فيها الآكلة
فقطعها ومات قبل الحول وسكب النبي صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه في بئر
قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها
ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه
طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه صلى الله عليه وسلم فصار اطيب
من المسك واعطى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكانت لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا
فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة سمنا
فيأتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت
تقيم ادمها حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في افواه الصبيان المراضع
فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه صلى الله عليه وسلم
وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة وديه يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم
وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم وغرسها له بيده الا واحدة
غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم
وردها فاخذت كلها وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة
فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان اوادها على لسانه فوزن منها لمواليه
اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل رضي الله عنه



سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شربت اولها وشربت اخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى صلى الله عليه
وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق
به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد
السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه صلى الله عليه وسلم لعكاشة جذل حطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض
شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة
وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جحش يوم احد
وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور
الشياه الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس
وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل
وشاة المقداد ومن ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه
ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية
حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين
فما شاب وروي مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان
يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده
على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له صلى
الله عليه وسلم فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح صلى الله عليه وسلم على راس قيس بن
زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى

مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح صلى الله عليه وسلم وجه اخر فما
زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما كان ينظر في المرأة ووضع يده صلى الله عليه وسلم على رأس
حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح
في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة من ماء فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال
ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره
وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرئوا واتاه صلى الله عليه وسلم
رجل به أدرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس
لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس
الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك واخذ صلى الله
عليه وسلم قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت
الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه صلى الله عليه وسلم
ابو هريرة رضي الله عنه النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه
ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب في صدر جرير بن
عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم
ومسح صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان
دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما **فصل** ومن ذلك ما اطلع عليه
من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره
وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر
لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر



محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءته على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري
حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة
حدثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء
فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم
قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما
وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به
من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور
الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح
خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
وانها ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم
خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله
بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم

ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب
وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما
زوى له منها فكذلك كانت امتدت فى المشارق والمغارب مابين ارض
الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لاعمارة وراءه وذلك مالم تملكه امة
من الامم ولم تمتد فى الجنوب ولا فى الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم
لايزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المدينى الى انهم العرب
لانهم المختصون بالسقى بالغرب وهى الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد
المغرب كذا فى الحديث بمعناه وفى حديث آخر من رواية ابى امامة لاتزال طائفة
من امتى ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يارسول
الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بنى امية وولاية معاوية ووصاه
واتخاذ بنى امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ماملكوا وخروج المهدى ومايناله اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل على
رضى الله عنه وان اشقاها الذى يخضب هذه من هذه اى لحيته من راسه وانه
قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج
والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال صلى الله عليه وسلم
يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون
خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر مادام عمر حيا
ومحاربة الزبير لعلى رضى الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها
قتلى كثير وتنجو بعد ماكادت فنبحت على عائشة رضى الله عنها عند خروجها الى البصرة
وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية وقال صلى الله عليه وسلم



لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم فى قزمان
وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه وسلم فى جماعة
فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا فى النار فكان بعضهم يسئل
عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال صلى الله
عليه وسلم فى حنظلة الغسيل رضى الله عنه سلوا زوجته عنه فانى رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد رضى الله
عنه ووجدنا رأسه يقطر ماء وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة فى قريش ولن يزال
هذا الامر فى قريش ما اقاموا الدين وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به
وانذر بالردة وبان الخلافة بعده تكون ثلاثون سنة ثم ملكا فكانت كذلك بمدة
الحسن بن على وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة
وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروتا وفسادا فى الامة واخبر
صلى الله عليه وسلم بشان اويس القرنى وبامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون
فى امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفى حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم
الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكثر
فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال صلى الله عليه وسلم خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم
يأتى بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال صلى الله عليه وسلم لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه وقال صلى
الله عليه وسلم هلاك امتى على يدى اغيلمة من قريش قال ابو هريرة راويه لو شئت
سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية والرافضة

وتب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم
يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر صلى الله عليه وسلم بشان
الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق وترى رعاء الغنم رؤس الناس
والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر صلى الله عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد
فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة
وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته
صلى الله عليه وسلم فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك
وقال صلى الله عليه وسلم لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
رضي الله عنه فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم
صلى الله عليه وسلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة
وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل
مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الامر والسر اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم بالمال الذي تركه عمه العباس
عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم صلى الله عليه وسلم
بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر
فكان كما قال وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين
فئتين ولسعد لعلك ان تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر صلى
الله عليه وسلم بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي
يوم مات وهو بارضه واخبر صلى الله عليه وسلم فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى





بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم
ابا ذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه
قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده
واخبر صلى الله عليه وسلم ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب
لطول يدها بالصدقة واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين بالطف واخرج بيده
تربة وقال فيها مضجعه وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه
الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على حراء
اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعن
سعد وقال صلى الله عليه وسلم لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما
لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى
مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة والبهلة تجبى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعني بغداد وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال
له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال صلى الله عليه وسلم لعمر في سهيل بن عمرو عسى
ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد حين
وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد
موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع
عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول
لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه صلى
الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة

في جف طلع نخلة ذكروانه التي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة
واعلامه قريشًا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا
بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه صلى الله عليه
وسلم لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه
واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان ذلك كله
كما قال الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم يأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله
صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج
الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار
الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانًا
مفردًا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية
واكثرها في الصحيح وعند الائمة والله المستعان **فصل** في عصمة الله تعالى له من الناس
وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا وقال تعالى اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدًا اعدائه المشركين وقيل غير هذا
وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي قال حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا
مسلم بن ابرهيم حدثنا الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم
يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم





كان اذا نزل منزلًا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه
ثم قال من يمنعك مني فقال عليه الصلوة والسلام الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه
وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت هذه الاية وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفى
عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها
جرت له يوم بدر وقد انفرد صلى الله عليه وسلم من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه
رجل من المنافقين فذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي
امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه
وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت
الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت انه
ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن
الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم
على راسه منتضيًا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة
زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع الظهر وقيل في قصته غير هذا
وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الاية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشًا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال
من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي
جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبًا اهيل وذكر ابن
اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها
من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر

يعصمك ٤٢

رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله
ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه
يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم ابن ابي العاصي رضي الله عنه
تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا
انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع الى
اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئناه حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت
بيننا وبينه عليه الصلوة والسلام وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم
ابن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له
فافتتح وقرأ الحاقة الى قوله فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر
وقال انج وفرّا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه العبرة المشهورة
والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم
من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم
وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه نسج
العنكبوت ما ارى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت
قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته صلى الله عليه وسلم مع سراقة
ابن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به
فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى
سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي
صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها فخر





عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب
له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم
بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجي ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وانسي
ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ابن اسحق وغيره
ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون اليه ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقري الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت
يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رأه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر
انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه
وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى
اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة وغيره
في اصحابه فجلس الى جدار بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح
عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم الاية
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي رحمه الله انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس
يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم

مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ويتوامرجي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل
التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا يصلي
ليطان رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى
هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق
مملو نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض
فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل
على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة
ويروى ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع
من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو
ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب
بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو
قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال
افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع
يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له
والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمة الله تعالى له
ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم





على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة
شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من
المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته
بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم
قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم عليه
الصلوة والسلام الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم
وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم
وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما
في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك
وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع
كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال
شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه
ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر به من الجاهلية
اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم
ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار اجلا مما لا يعلم ولا
يقوم به جملة ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرايض
والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله

عليه وسلم فيها فروعا واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فهي
على رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا تحدث بها الرجل
نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقارب الزمان لم تكد
رؤيا المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم اصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث
ابي هريرة رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة حوض البدن والعروق اليها
واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله
صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم
سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله صلى
الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث الطعام
وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن سبإ أرجل هو أم امرأة
أو ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب
الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم حمير رأس العرب
في العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض زواياه سواء وقوله صلى
الله عليه وسلم في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف
وخمس مائة في الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وقد مر بموضع نعم موضع الحمام هذا
وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله صلى الله عليه وسلم
لعيينة او للاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه اذكر للمملي هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم





كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله
الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر
الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف
القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح
الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما
علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على
بعضه في اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو القتل بها
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على
الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يقرأ ولم يكتب ولا عرف بصحبة
من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة بشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل
بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما
كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك
لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة
من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة
حيلة في دفع ما قصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله
تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان
فان الذي نسبوا تعليمه اليه اما سلمان الفارسي او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد
الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان
يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم

يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا
عن معارضة ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف
باعجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم
في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان
يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا
ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به
من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته
الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه
على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة
يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته
لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعلم واختلاف الى حبر او قس او منجم
او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل حجة ومجليا لكل امر فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر اياته
انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير
من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
الاية وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال تعالى اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة الايتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن يستمعون القران الاية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه قال حدثنا ابو الليث
السمرقندي قال حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابي حدثنا شعبة عن سليمان الشيباني انه





سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من ايات ربه الكبرى قال رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة
وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة
من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام
والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية ورأى سعد
على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد
وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون
الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض
ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم
حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية
ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست
بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فرد عليه فقال نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن
ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا
من القران وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال
عليه الصلوة والسلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلوتي فامكنني الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة
اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية فرده الله تعالى خاسئا وهذا باب واسع

فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ما ترادفت به الاخبار
عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته
وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وشبهه وكعب بن لوي وسفيان بن مجاشع وقس بن
ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم
زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم
صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى وضغاطر
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران
وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما
النصارى ورئيساهما ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد
والنفاسة على البقاء على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تحصر وقد قرع اسماع
اليهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة اصحابه
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته
وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم
من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم فلتأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد
ابن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت





كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته
وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما
وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور
بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور
فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه
ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا ببصره الى
السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام
عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور
وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدي
واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم وما تعرفت به حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن
شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب ليلة مولده
من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان
لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا
فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح
صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا وقالت ام ايمن رضي الله عنها حاضنته ما رايته
صلى الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق السمع وما نشأ عليه
من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه
حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه
ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه

ما بالك قال انى نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة رضى الله عنها رأت غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هى فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فىء الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه صلى الله عليه وسلم فى شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره فى المدينة وفى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلوة الملائكة على جسده على ما رويناه فى بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله وندائهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا عنه القميص عند غسله وما روى من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كراماته وبركته فى حيوته ومموته كاستسقاء عمر رضى الله عنه بعمه وتبرك غير واحد بذريته الطاهرة عليه وعلى آله الصلوة الكاملة فصل

قال القاضى ابو الفضل رحمه الله قد اتينا فى هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة فى واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد فى جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصى لكان





ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه بعض الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء والرسل تقف على ذلك ان شاء الله تعالى اما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية فى قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففى القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزى القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون فى السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها توجب التضعيف هذا فى حق القران فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوى الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم فى هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جملة تبلغ نحوا من هذا

الوجه الثانى وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذى سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق

عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام
اغنا ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات
الانبياء عليهم الصلوة والسلام ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة
معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله عليه
القران الخارق لهذه الفصول الاربعة من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا به في المنظوم
الى طريقه ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث
والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت عليه ويعترف المخبر عنها بصحة
ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا
ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية بما يعجز من تفرغ لهذا العلم
عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجزة فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القران ثابتة الى يوم القيمة
بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه
بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل
عندها حقا وسائر معجزات الرسل عليهم الصلوة والسلام انقرضت بانقراضهم وعدمت
بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل
ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا الفقيه





ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه
عن ابي هريرة رضي الله عنهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء
نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه
الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون
لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا
مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس فيه حيلة ولا للسحر في التخييل
فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب
ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص وارضى وفي هذا
التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويغضى له ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة
وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من
ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين هذين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك
العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء والجلاء
والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ
والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني
وغيرهم قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب

الفصاحة ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدا ان ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي
للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر
الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي
ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك
وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الانبياء عليهم السلام حتى احتاج للعذر
عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه
بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم
لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم
على صلبه وقتله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو خير بالذي هو
ادنى والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله
تعالى زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله
وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا
بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها
في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى
هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك





وظهورها وبالله استعين وهو الموفق للصواب القسم الثاني فيما يجب على الانام
من حقوقه عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا
فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم
وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته
واتباع سنته واذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الآية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم الايمان الا به
ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه حدثنا الامام ابو علي الطبري
حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابن عمرويه الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا
ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح عن العلاء
ابن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق
القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى

يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ
قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قررنا ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام
به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق بالقلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك
ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم
في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ايمان ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي
عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام
المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل
الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم
ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة
من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احداهما ان يصدق
بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام
الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه
وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية
ان يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد
في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة





من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد في النار وقيل ليس بمؤمن حتى
يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة
مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ
يفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة
فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق ولا يصح فيه جملة وانما
يرجع الى ما زاد عليه من عمل او بدون قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته
من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط
هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية مما قصدناه ان شاء الله تعالى
فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجب
طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول الاية واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال
تعالى وان تطيعوه تهتدوا وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال وما اتيكم
الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
الاية وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله
الله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على
مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة
طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا
وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع
الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام
فقال وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال السمرقندي يقال اطيعوا
الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم

ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والرسول بالشهادة له بالنبوة حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان اخبرنا
عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة
رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
فطاعة الرسول عليه الصلوة والسلام من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته
امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم
تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا
طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يأبى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه
الصلوة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم
واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت
به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث
داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار
ولم يأكل من المادبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع
الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فصل واما وجوب اتباعه





صلى الله عليه وسلم وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية
قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه
وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى
بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية
الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة
ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن
ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية
وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما
ورضاه بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب
من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل: تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع: لو كان حبك صادقا لاطعته: ان المحب لمن يحب مطيع:
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته
الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة

والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى
حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو حفص الجهني
حدثنا ابو بكر الاجري حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا
الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي
عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة
في النار وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله
اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون
عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال القران صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه
وحفظه جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي فقد خسر الدنيا والاخرة امرت
امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران
قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا الاية وقال عليه الصلوة
والسلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد
وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة





وعن الحسن بن ابي الحسن قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر ماية شهيد وقال
صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث
وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي
وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من احيى سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي
وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيى سنة
من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم
شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن السلف والايمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه
سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ قال حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ
ووهب بن ميسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن
ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القران ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن
اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيئا فانا نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب
الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر
في راي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال
الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال

من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعليم السنة والفرائض
واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن فان اصحاب
السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى
الناس عنه وتفعله قال له لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول
احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير
من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال
ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة
قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله
عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على
منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة
لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه
عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله والى سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه وقد نظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تضر
ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله





وروى عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل عنه فقال لا ادري الا اني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من امر السنة على نفسه
قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري
اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل
من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه
انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام
الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك
باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره
وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد
ابن ابي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك عن العلاء
ابن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد
البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا
فسحقا فسحقا وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
فليس مني وقال من ادخل في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري

مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه
الصلوة والسلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية
وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا
شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ
**الباب الثاني في لزوم محبته** عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلوة والسلام اذ قرع الله تعالى من كان
ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي
الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن
عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد
ابن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا ابن علية عن عبد
العزيز بن صهيب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة نحوه وعن انس عنه
صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما
يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم





لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت
احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل
من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه الصلوة
والسلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه الحديث **فصل** في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن
عتاب بقراءتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا
ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان
حدثنا ابي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس رضي الله عنه
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها
قال ما اعددت لها من كبير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال
انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال
المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر معناه وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن
وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة
وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي
ومالي واني لاذكرك فما اصبر عنك حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن
يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة

رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وفي حديث انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال ومن احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي
حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد
الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله وماله ومثله
عن ابي ذر وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي
وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي الى فراش الا
وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار
ويسميهم ويقول هم اصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى
يغلبه النوم وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك
ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس ان تسلم
احب الي من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا وهو
بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله
احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن
زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول





على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه
وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل
له اذكر احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه
ويروى ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم يقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا
الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان
محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان
ما رأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله
ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض وما خرجت الا حبا لله ولرسوله
ووقف ابن عمر رضي الله عنهما على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله
ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم
اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق
في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال
سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بآدابه
في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وايثار ما شرعه الله وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله
تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم

حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد
في رضاء الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه
عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل
ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي
في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله
عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه
وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب
يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون
غدا نلقى الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرنا
من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند
ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه الكريم قال اسحاق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته
من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية



في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما
فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
وقال لعائشة في اسامة ابن زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث
ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب
شيئا احب كل شيء يحب وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس
حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء
من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع
لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض
الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله
ابن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به صلى الله
عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها
قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة [illegible] وحب القرآن
حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة
حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر

منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه الا
القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه
وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه
الصلوة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا
وايثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه الصلوة والسلام لابي سعيد الخدري ان
الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي والجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك فقال
انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا
ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد بمعناه **فصل في معنى المحبة** للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع في الحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف
احوال فقال سفيان الثوري المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كانه التفت الى قوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته
والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر
للمحبوب وقال آخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة
مواطأة القلب لمراد الرب فيحب ما احب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب الى
موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع
سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني
باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة



والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ
التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في آخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان وهتك
الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب
كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه صلوات الله وسلامه جامع لهذه المعاني
الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه على امته فكذلك
قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته
عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين
واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى
الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك
انه عليه الصلوة والسلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضة الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه
في دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع
فكيف من منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب
بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد
من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل
وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة

احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم

## فصل في وجوب مناصحته

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية حدثنا القاضي الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي وهو الخطابي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر ابن ابي اسحق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما





والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح الصحابة له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال الله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانصرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

## الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال تعالى

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه
وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصروه وقال الطبري تعينوه
وقرئ تعززوه بزائين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه
بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل
أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه
فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه
به وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في التقدم
وقال السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم
نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع
صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه
ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الآية الأخرى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه
إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت
الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد
اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت
الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس





خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان
يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر
بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش
حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه
الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وأن عمر كان إذا
حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه
الآية حتى يستفهمه فأنزل الله تعالى فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله
أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقيل نزلت إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال
بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد
أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت وقال
الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم بل حقه
أن يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي
المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة
وقيل غير هذا **فصل في عادة الصحابة في تعظيمه** صلى الله عليه وسلم وتوقيره وإجلاله
حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي سماعا عليهما في آخرين قالوا حدثنا
أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا
مسلم حدثنا محمد بن المثنى وأبو معن الرقاشي واسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك

ابن مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال
حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني
منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى
الترمذي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين
والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر
وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما
وروى اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا
ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها
باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها
واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه
النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر
في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في اصحابه
وفي رواية اخرى ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه كما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت
قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان
في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال
ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب





رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فأؤخره سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره
عليه الصلوة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله
وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ
في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا
الله به قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا
حدثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث بالثاء قال حدثنا ابو الحسن علي بن فهر
حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب قال ثنا يعقوب
ابن اسحق بن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا

وحرمته حياً فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو
ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيمة بل استقبله
واستشفع به فيشفعك الله فيك قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك
الاية وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل
منه وحج حجتين فكنت ارمقه فلا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم بكى حتى ارحمه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم
كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير
لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوماً في ذلك فقال لو رأيتم قالك
ما رأيت لما انكرتم على ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد
نسئله عن حديث الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعا
به والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وما رأيته يحدث ابـ ا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زماناً فما كنت
اراه الا على ثلاث خصال اما مصلياً واما صامتاً واما يقرأ القرأن ولا يتكلم فيما
لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن
القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف
لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله
ابن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع
ولقد رأيت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس





عنه ويتركوه وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل
ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية وحرمته حياً وميتاً سواء وكان
ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وكان
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له
عند سماع قوله وسنته صلى الله عليه وسلم فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو الفضل
ابن خيرون حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا
احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن
عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انه حدث يوماً فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان شاء الله او فوق ذا او ما دون ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه
وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال
اني لم اجد موضعاً اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه
فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول

الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد
وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ
وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له منصة
فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث
في الطريق او هو قائم او هو مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان
الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة
ولا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء وقال عبد الله بن المبارك كنت
عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا
عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني
وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسئل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي
وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض
فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف

للناس ويجلس صح





فنهره عشرين سوطا ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا
وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير
وضوء تيمم **فصل** ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم بر آله وذريته وامهات
المؤمنين ازواجه كما حض عليه الصلوة والسلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال
الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى وازواجه امهاتهم
اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل
حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل
بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه
الصلوة والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي
فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار
وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب وقال بعض العلماء
معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب
حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة قال لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء
وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وعن سعد بن ابي وقاص قال لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا
وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي

من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم
لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم
مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم
من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وكان ياخذ اسامة
ابن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا
محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وحسينا
وقال من احبني واحب هذين واشار الى الحسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي
يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه الصلوة والسلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث
رأيت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها
بعلي وعلي يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة
فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله تعالى ان يراك على بابي
وعن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء
ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا صلى الله عليه وسلم وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل
له هو محمد بن اسامة بن زيد فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده الى الارض وقال لو رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها تمسك





بيدها فقام لها عمر بن عبد العزيز ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه
في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة
الا قضاها لها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة
الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته
علي فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه
واقطعه المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا
رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه
الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان
اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي
وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي
الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش
لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي لبدات بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن
عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد
هذه الساعة فقال اليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية
فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى

الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي صلى الله عليه وسلم وفدت
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره صلى
الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء
عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب
عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد
منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه الصلوة والسلام
اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم الى اخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية
وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الاية وقال رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا
ابو يعلى ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان
بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن خراش عن حذيفة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال
صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين



١١٦

لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع
العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد احبني
ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس رضي الله عنه وغيره من ابغض الصحابة
وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية
وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله
بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح
السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق
ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد
له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن
سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له
ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان وعن علي وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل
بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم
احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران
اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله
عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله

وقال عليه الصلوة والسلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وعنه صلى
الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني
في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا
من بعيد وقال مالك رحمه الله تعالى هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج لهم في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم
وموالاتهم ومعادات من عاداهم وروى عن كعب رحمه الله ليس احد من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع
له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم
من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره **فصل** ومن اعظامه واكبارا عظام جميع اسبابه
واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه صلى الله
عليه وسلم او عرف به وروى عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة
في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن
بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته
في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من
قتل فيها فقال لم اكن افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه
وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ورئي ابن عمر رضي الله عنه واضعا
يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا





كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروى انه وهب للشافعي رحمه الله
كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه رحمه الله بمثل
هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة
الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب
ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم
في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي
صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به
الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه الصلوة والسلام
من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري
لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ؛ ولما راينا رسم
من لم يدع لنا ؛ فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ؛ نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ؛
لمن بان عنه ان نلم به ركبا ؛ وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم انشد متمثلا ؛ رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ؛ قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ؛ فظهورهن على الرجال حرام ؛ قربننا من خير من وطئ الثرى
فلها علينا حرمة وذمام ؛ وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال
العبد الابق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها

جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر صلى الله عليه وسلم وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد الفضائل
والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط
الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدراتها ۞ يا دار خير المرسلين ومن به ۞ هدي الانام وخص بالآيات ۞
عندي لاجلك لوعة وصبابة ۞ وتشوق متوقد الجمرات ۞ وعلي عهد ان ملأت محاجري ۞
من تلكم الجدرات والعرصات ۞ لاعفرن مصون شيبي بينها ۞ من كثرة التقبيل والرشفات ۞
لولا العوادي والاعادي زرتها ۞ ابدا ولو سحبا على الوجنات ۞ لكن ساهدي من حفيل تحيتي ۞
لقطين تلك الدار والحجرات ۞ ازكى من المسك المفتق نفحة ۞ تغشاه بالآصال والبكرات ۞
وتخصه بزواكي الصلوات ۞ ونوامي التسليم والبركات ۞ الباب الرابع في حكم
الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله وملائكته يباركون على
النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم
فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله عز وجل وقد ورد
في الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه
فهذا دعاء وقال ابو بكر القشيري الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى
الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى
الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما





بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير
نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفي معنى السلام عليه ثلاثة اوجه احدها السلامة لك ومعك ويكون السلام
مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل
به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد
كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب
واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع
فلعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة
كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغوب فيه من سنن الاسلام وشعار
اهله وقال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة
على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي
ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت
معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها وقال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد مذهب
مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة
بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض
عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به ورسوله عليه الصلوة والسلام
هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة

فحكى الامامان ابو جعفر الطبرى والطحاوى وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتأخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد
غير واجبة وشذ الشافعى فى ذلك فقال من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم من بعد
التشهد الاخير وقبل السلام فصلوته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا
سلف له فى هذه القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ فى انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبرى والقشيرى وغير واحد
وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلى احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلوته مجزئة ومذهب مالك واهل المدينة وسفيان
الثورى واهل الكوفة من اصحاب الرأى وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكى عن مالك
وسفيان انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد مسيء وشذ الشافعى
فاوجب على تاركها فى الصلوة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى ابو محمد بن ابى زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبى صلى الله عليه
وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره
وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلوة كقول الشافعى
وحكى ابو يعلى العبدى المالكى عن المذهب فيها ثلاثة اقوال فى الصلوة الوجوب والسنة
والندب وقد خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره الشافعى فى هذه المسئلة قال الخطابى
وليست بواجبة فى الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى ولا اعلم له فيها قدوة
والدليل على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه
وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذى اختاره
الشافعى وهو الذى علمه له النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبى صلى
الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبى صلى الله عليه وسلم كابى هريرة وابن





عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير
لم يذكروا فيه صلوة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبى
صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابى سعيد
وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفى الحديث لا صلوة لمن لم يصل على قال ابن القصار معناه كاملة
او لمن لم يصل على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفى حديث
ابى جعفر عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة لم يصل فيها على وعلى
اهل بيتى لم تقبل منه قال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين
لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم

فصل فى المواطن التى يستحب فيها الصلوة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك فى تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضى
ابو على رحمه الله بقراءتى عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخى قال ثنا الفارسى عن
ابى القاسم الخزاعى عن ابى سعيد الهيثم بن كليب عن ابى عيسى الحافظ قال حدثنا محمود
ابن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح حدثنى ابو هانى الخولانى ان عمرو
ابن مالك الجنبى اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم
رجلا يدعو فى صلوته فلم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه
ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا
السند بتمجيد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الدعاء والصلوة إن
معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله تعالى منه شيء حتى يصلى على النبى صلى الله عليه
وسلم وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد وروى

ان الدعاء محجوب حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضى
الله عنه اذا اراد احدكم ان يسئل الله شيئاً فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو
اهله ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليسئل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب
فان الراكب يملاء قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه
او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوى
وان وافق اجنحته طار فى السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح
فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على النبى صلى
الله عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلوتين على لا يرد وفى حديث اخر كل دعاء
محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلوة على صعد الدعاء وفى دعاء ابن عباس الذى
رواه عنه حنش فقال فى اخره واستجب دعائى ثم يبدأ بالصلوة على النبى صلى الله
عليه وسلم فيقول اللهم انى اسئلك ان تصلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما
صليت على احد من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلوة عليه عند ذكره وسماع اسمه
او كتابه صلى الله عليه وسلم او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل على وكره ابن حبيب رحمه الله ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون
الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب
الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل
فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له
مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغى ان تجعل الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم فيه استنانا





وروى النسائى عن اوس بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه دخول المسجد قال ابو اسحق بن شعبان وينبغى
لمن دخل المسجد ان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك
عليه وعلى اله ويسلم عليه تسليماً ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك
واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار فى قوله تعالى
فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن فى البيت احد فقل السلام على النبى ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس رضى الله عنه المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعى اذا لم يكن
فى المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن فى البيت احد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبى ورحمة
الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل المسجد واذا خرج ولم يذكر
الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابى بكر بن عمرو بن حزم
وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف فى الفاظه ومن
مواطن الصلوة عليه ايضاً الصلوة على الجنائز وذكر عن ابى امامة انها من السنة ومن
مواطن الصلوة التى مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
وعلى اله فى الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا فى الصدر الاول واحدث عند
ولاية بنى هاشم فمضى به عمل الناس فى اقطار الارض ومنهم من يختم به ايضاً الكتب
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك
الكتاب ومن مواطن الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا ابو القاسم
خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثتنا كريمة بنت محمد قالت ثنا

ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة
عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه
وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده
واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة
اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل
العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني آدم
والجن وقال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم **فصل**
في كيفية الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر
الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن
واقد وغيره قالوا ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي
بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل
ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابرهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما
صليت على ابرهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو





في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم
صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه
وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال
ثنا ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي
ابن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين
عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند رب العزة
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة
الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا
في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول اللهم
داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك

حافظاً لعهدك ماضياً على نفاذ امرك حتى اورى قبساً لقابس الاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنأت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول
اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل
وبرهان عظيم وعنه ايضاً في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب
العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب
العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله
ابن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم
انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته
واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
وعن طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته
العليا واته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان





يقول في دعائه اللهم اعط محمداً افضل ما سئلك لنفسه واعط محمداً افضل ما
سئلك له احد من خلقك واعط محمداً افضل ما انت مسؤل له الى يوم القيمة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم
فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك
امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الاولون
والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وما يوثر
في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام
كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام
على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد
ابن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر
لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا
الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلوة عليه ايضاً صلى الله عليه وسلم
قبل الدعاء له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب
ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له
بالصلوة والبركة التي تختص له ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد
في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمداً وال محمد كما ترحمت على ابرهيم وال
ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي

ورحمة الله وبركاته **فصل** في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي ثنا سويد بن نصر ثنا عبد الله عن حيوة ابن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله ابن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ناداني فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات وفي رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس ابن الحدثان وعبيد الله ابن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود رضي الله عنه اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله





اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلوتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب **فصل** في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابرهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه



الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال
ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل
النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل
ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به
طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله
عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا اسم الله ويصلوا على النبي صلى
الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة رضي
الله عنه من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس
قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه
على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة
في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام
بتبليغ صلوة من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن
محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا
المقرئ ثنا حيوة بن شريح عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة





رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله
علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي
السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة
فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلوته علي حين يفرغ
منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلوتكم تبلغني وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت
المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلوتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة علي وعن سليمان
ابن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك
فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما
يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك
حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلوة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا يجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي
عنه لا ينبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت

بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله
عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق
اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وقال ليحيى بن يحيى
لست اخذ بقوله ولا بأس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر
وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله
وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي رحمه الله روى عن ابن عباس كراهة الصلوة
على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم تكن تستعمل فيما مضى وقد روى عبد
الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء
الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان
العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال تعالى
هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها
وصل عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث
الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي اخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل
امته وقيل اهل بيته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه
وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم
من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول
في صلوته على النبي اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل
قوله عليه الصلوة والسلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود
وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته





وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك
في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر
وروى ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان
صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي رحمه الله والذي ذهب اليه
المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله تعالى وروى عن ابن عباس واختاره
غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء
توقيرا لهم وتعزيرا كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه
غيره وكذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم ولا يشارك
فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم
بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقد قال
تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر
الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة فشاركوهم عند
الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وايضا فان التشبه باهل
البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج
مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجرى مجرى الدعاء والمواجهة وليس فيها معنى التعظيم والتوقير
قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء
له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا
والحافظ ابي عمر بن عبد البر فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره
وسلم عليه من المسلمين وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة من سنن
المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه

وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي ابو علي قال ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا الحسين بن جعفر ثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق
ثنا موسى بن هلال عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي
وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل
كراهية الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور وهذا
يرده قوله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا
وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل ان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من
المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد
في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمران انما
كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس
ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين
الناس وواجب شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب
وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل
قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى الله
اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم
قال اسحق بن ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه





وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي
فيه عليه وعن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن
ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الاية على النبي الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة
وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة
اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني السلام وقال غيره وكان
يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف
قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى
القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم حذاء
النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع
كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي
السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف ورئي واضعا يده على مقعد النبي صلى
الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والقعنبي كان اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم
استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر
وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول
المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر

وعمر رضي الله عنهما قال القاضي ابو الوليد الباجي رحمه الله وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من الخلاف
قال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم
ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر
تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين
بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف
بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه صلى الله عليه وسلم وتثني بما يحضرك وتسلم
على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل
والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد
واذا خرج جعل اخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك
من فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك





وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال
صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى
على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله
وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب
رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى
الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس
لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه
ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام
المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد
من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني
عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده
قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال
وذلك رأي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل
المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال
لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه
ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت فصل فيما يلزم

من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة
فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد
أسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي
مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
رضي الله عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراتي
عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر
ابن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلوة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال
مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت
قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت
قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه
عما يكره قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب
فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم
قال القاضي اسمعيل وقال محمد يعني ابن مسلمة ويكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة





والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة
اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول افضل من الصلوة في سائر المساجد
بالف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة
على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة
الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام
افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة
وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى
قتادة مثله فياتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة
الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه
الحديث مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك
في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي
وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد
بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت
هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري واذا كان

قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره فى حجرته وهو
بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره بعينه الذى كان فى الدنيا وهو
اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة
من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه
يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها
الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له
شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا
يعلمون وقال انما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد عن المدينة
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه صلى الله عليه وسلم من مات
فى احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق
اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يامن من الطلب
من احدث حدثا ولجا اليه فى الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا على قول بعضهم وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولانى بالمنستير فاعلموه
ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقى ابيض البدن
فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية
داين ربه فينادى غدا ملك من عند الله من كان له دين عند الله فليقم ومن حج
ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم





الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفى الحديث عنه صلى
الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا استجاب الله له وكذلك
عند الميزاب وعنه عليه الصلوة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الامنين قال القاضى ابو الفضل رحمه الله
قرات على القاضى الحافظ ابى على رحمه الله قلت حدثك ابو العباس العذرى قال
حدثنا ابو اسامة محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى
قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشىء فى هذا الملتزم الا
استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت
الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان وانا
فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لى وقال الحميدى
وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى
الا استجيب لى وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن
بن رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لى من امر الاخرة قال العذرى
وانا فما دعوت الله بشىء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى
قال ابو على وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وارجو من سعة
فضله ان يستجيب لى بقيتها قال القاضى ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت

في هذا الفصل وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصاً على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته **القسم الثالث** فيما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم وما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية
ان يضاف اليه قال المؤلف رحمه الله قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افان مات او قتل الاية وقال تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل
وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام من البشر ارسلوا الى البشر
ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكاً لجعلناه رجلاً اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخالطتهم اذ لا يطيقون
مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً اي لا يمكن في سنة الله تعالى
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته
كالانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فالانبياء والرسل وسائط
بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم
بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم
واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالباً عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت
بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم





ومخاطبتهم ومخالتتهم ومجالستهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشرية لما اطاق البشر ومن
ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجساد والظواهر
مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذاً من امتي خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال عليه الصلوة والسلام تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست
كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من
النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر محتاج الى
بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين بعون الله تعالى وهو حسبي ونعم الوكيل
**الباب الاول** فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء
صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان
الطوارئ من التغييرات والافات على احاد البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه
بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل
وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان
وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الافات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه
ان شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم
من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين

والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة
بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون
في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم صلوات الله وسلامه
على نبينا وعليه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم في اخبار الله تعالى له
باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحيا فحصل له
العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان
ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة دعوته بسؤال
ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم
الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وضعفها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي
من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سال
كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين
بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم
هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه
الامنية الوجه السادس انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة
وقول نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم شك
وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى
فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك





فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك
ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما او غيره من اثبات شك للنبي
صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال
ابن عباس رضي الله عنهما لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن
وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية
قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم
في شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال
تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله قوله تعالى فلا تك
في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله وهو عليه الصلوة والسلام كان المكذب فيما يدعو اليه فكيف يكون
ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله تعالى الرحمن
فسئل به خبيرا المامور ههنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي صلى الله عليه وسلم
والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقيل ان هذا الشك الذي
امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار
الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك
من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله
القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ
اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا
من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل امم من

ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن
في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك
لا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم الله انه لم يقل وقيل معناه
ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت تشك
فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي
عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا اليك فان قيل فما معنى قوله تعالى
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك
ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى
ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء
وبهذا المعنى قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما
لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وكذلك ما ورد
في حديث السيرة ومبتداء الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه
الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة





الملك واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله
بعد لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت
عليه من العجائب وسلم الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض
طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا
له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول
حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى
ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى
الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى
شيئا وثمان سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة
في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا
لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده
لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما الصلوة والسلام وقبل اعلام الله له
بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه
الصلوة والسلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله
ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني
لاسمع صوتا واري ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في بعض هذه

الاحاديث ان لا يبعد شاعر او مجنون والفاظاً يفهم منها معاني الشك في تصحيح
ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه
رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له
ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه وقد روى ابن
اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل
عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها
اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل
بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك وتزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر ذلك هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث
عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها
ان ورقة امر خديجة رضي الله عنها ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن
ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني
بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي
وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت
وابشر وامنت به فهذا يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة
لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر رضي الله عنه في فترة الوحي فحزن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً شديداً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا
ذكر رواته ومن حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرنا





او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على
اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك
عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه
ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل عليه السلام فقال
يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار
يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى
في يونس عليه السلام فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة
الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه
العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه
بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق
ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا الصحيح
مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة
له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به
من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم
عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ارسال يونس عليه
السلام ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو
سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويستدل ايضا
بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون

هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر
ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه الصلوة والسلام
بل اصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد رضي الله عنه واصله من غين
السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه
يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه
وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة
الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة الامة ومعانات الاهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل
الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله
عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت
حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه
هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد
وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد وجه محياه وهو مبني على جواز الفترات
والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب
ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز
عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه





الصلوة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قال وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره عليه الصلوة والسلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون
الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة
افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث
عنه عليه الصلوة والسلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله
فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون
من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه الصلوة والسلام
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح عليه السلام لا تكونن ممن
يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى
وذلك لا يجوز على الانبياء عليهم الصلوة والسلام والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك وليس في اية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التي
نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح عليه السلام قبلها فلا تسئلني ما ليس لك به علم
فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال
فيه ابتداء فنهاه الله ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام
الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه

ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اى فلا تكونوا من
الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال مثله فى القران كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة
الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم
شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره
منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الاية وقوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله
وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يا ايها
النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه صلى الله عليه وسلم
لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا
او يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة
والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب
نفسه وقوى قلبه بقوله تعالى والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا اننى معكما
اسمع وارى لتشتد بصائرهم فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو
المضعف للنفس واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله
وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله
فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبى
صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه
اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم





الاية وما كان طردهم عليه الصلوة والسلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من
الجهل بالله وصفاته والتشكك فى شئ من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن
الانبياء عليهم الصلوة والسلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على
التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا
عليه فى الباب الثانى من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا
نبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا صلى
الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته
مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد فى شئ من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه الهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جاء معهم عليه ولو كان هذا
لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه فى معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان
يعبد قبل افظع واقطع فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباؤهم
من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل
ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا
عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضى القشيرى على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين الى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله فى الميثاق وبعيد ان ياخذ
منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف
يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة

وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به
اخبار المبداء ولا يشبه عليك بقول ابرهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا
ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم
التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه
ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال
الزجاج قوله هذا ربي اى على قولكم كما قال اين شركائى اى عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا
من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين
وقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو صلى
الله عليه وسلم معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها
تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتى هذه اللفظة في كلام العرب
لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
كذلك ومثله قول الشاعر ° تلك المكارم لا قعبان من لبن ° شيبا بماء فعادا بعد ابوالا °
وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي
هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل ووجدك بين اهل الضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل
ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه





الصلوة والسلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك
ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى وقال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل
هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة
وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه ووجدك ضالا
عن محبتي لك في الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي رضي الله عنه
ووجدك ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتي
والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين
اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اى محبة
بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله تعالى وانزلنا
اليك الذكر الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك
السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه
السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن
عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى
اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت فما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القران
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام
قال فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها
قبل فازداد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله
لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي
ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث

الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم
خلفه فقال الاخر كيف نقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال
ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي
الاصنام من غير الرواية وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه
واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي وراءك
لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه
وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي طالب وهو صبي ورأى
فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني
بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما
اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم
وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان
يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء عليهم السلام في التوحيد والايمان والوحي
وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها
مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا
ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا
منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على





ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا
فلا يشترط في حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام العصمة من عدم معرفة الانبياء
ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة
وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا
الذين يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة
والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم
والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية
واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد فيما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم الا العلم به ولا يجوز
عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله عز وجل فهو ما
لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل
ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك
على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله عنها اني انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل
علي فيه شيء خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون
ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف
من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطاء في الاجتهاد لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف واحد
لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول
في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده
انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم

قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا
الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله عز وجل
او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده عليه الصلوة والسلام
وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة
فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته
الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين
اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء
والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم
فيه لا ياخذه فيما اعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط
له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله
صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله صلى الله عليه وسلم
ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر عليه
السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اسألك
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم اسألك بكل اسم
هو لك سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله تعالى وفوق
كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء
به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم
في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان الامة مجمعة
على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بانواع
الاذى ولا على خاطره بالوساوس قال أخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله تعالى





قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن
الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان
عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني
عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها
بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي
فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر
الحديث ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه
وقرينه المسلط على كل احد من بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو
منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة
نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فأخذه
النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلوة
فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه
فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث
ابي الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه
وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسرا
وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا
ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار

بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية
ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه ضره
وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء
ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه الصلوة والسلام
حين لد في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان
ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله تعالى واعرض
عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره
الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر
ادانى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون
سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل
في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه
لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله
عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله
له او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل
فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث
والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا التلاوة





والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه
الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل
ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسيأتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع
من هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان
عليه السلام وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا
ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب وقوله اني مسني
الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى
الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي رحمه الله وقد قيل
ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه الصلوة
والسلام حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام
في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر
كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كأنه رؤس
الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع
لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام
قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى عليه السلام
وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها
كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما
ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر
للملك شأن يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه
تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر

وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما اما نسيا واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا
واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى
ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ
الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة
الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما
ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق
حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله
صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة
فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا
ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق عبدي فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة
الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن
جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا
من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم
في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع
المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه
وما اوحاه الله اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى والسخط
والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قلت يا رسول الله اكتب كل ما
اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا
ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه
لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت





فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم
ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل
وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرا سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما
ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما
وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه
شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين الايتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وقوله وان كادوا
ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث
لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله
المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء

والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
اسانيده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي قومه
حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدثته
نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل عليه الصلوة والسلام قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم
الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال
والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية
من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد
متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع
الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فمما لا يجوز
الرواية عنه وذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه
في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة
اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القران حتى يجعله فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه





وسلم ان من القران ما ليس فيه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما الصلوة والسلام
وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبرهان
والاجماع عصمته عليه الصلوة والسلام من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا
ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الآية وقال تعالى اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية
ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف
والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين
ممن يخفى عليه ذلك وهذا مما لا يخفى على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي
المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو
على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد
الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه
القصة شيئا مما سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها
على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء
حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة
اعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها
واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي

الملحدين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها
نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان تردان الخبر الذى رووه لان الله
تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفترى وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم فمضمون
هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم شيئا قليلا
فكيف كثيرا وهم يروون فى اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء على
مدح الهتهم وانه قال عليه الصلوة والسلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا
ضد مفهوم الاية وهى تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى فى الاية
الاخرى فلولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون
الا انفسهم وما يضرونك من شئ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القران
كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد
اخفيها ولم يفعل قال القشيرى القاضى ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم
ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن
الانبارى ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت فى معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه
من نص كتاب الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق فى الاية الا ان الله تعالى
امتن على رسوله بعصمته وتثبيته عما كاده به الكفار وراموه من فتنته ومرادنا
من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الاية واما المأخذ الثانى
فهو مبنى على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب
عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان
النبى صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام
على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى حالة
من احواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة لعصمته





فى هذا الباب من جميع العمد والسهو وقيل قول الكلبى ان النبى صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
فقال ذلك الشيطان على لسانه وفى رواية ابن شهاب عن ابى بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما
اخبر عليه الصلوة والسلام بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله
صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبى
صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابرهيم عليه
الصلوة والسلام هذا ربى على احد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد
السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل
وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضى ابو بكر ولا يعترض
على هذا بما روى انه كان فى الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذى يظهر
ويترجح فى تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا ويفصل الاى تفصيلا فى قراءته كما رواه الثقات عنه
فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة
النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنى اليه من الكفار فظنوها من قول النبى صلى الله
عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها
الله وتحققهم من حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه
وقد حكى موسى بن عقبة فى مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى
الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وملاء قلوبهم ويكون ما روى من حزن النبى صلى
الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الاية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا امانى اى تلاوة وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم من السهو

اذا قرأ فيتنبه لذلك فيرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه وقال
اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة
انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القران
بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر
به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله
ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد
ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه
الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون
ان الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله تعالى كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس
عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان
واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس
كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق
بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها
بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى





الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك عليه واذاعوه وان النبي صلى الله
عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من لدنه
وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو وكما ضمنه الله تعالى من قوله انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام
انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم
كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة
في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت
كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا
قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راوا
دلائل العذاب ومخائله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم
اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل
صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا
فيقول اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول له اكتب سميعا بصيرا
فيقول له اكتب كيف شئت وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدري محمد الا
ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق
بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي

حكاية عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
قد افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا الافترى والعجب
لسليم العقل يشتغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض
للدين مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة
انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بايات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها
لها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك
وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما
سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح
حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه
اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه
وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن
في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم
حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه
الى الكلمة او كلمتين مما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول
لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب
على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع
البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك قوله عليه الصلوة
والسلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الايات وجهان







وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملاء احداهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه
وسلم فقبل النبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم
ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الاي
مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة
الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت
على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما مع الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام
كيف ننشرها وننشزها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب
للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن
النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله عز وجل ويسميه في ذلك
كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ
من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل
في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم
من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل
ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم
الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي
شيء وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات
عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي
على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر

فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله وايضاً
فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد
في شيء منها استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم
في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم رجوعه عما
اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأياً لا خبراً وغير ذلك من الامور
التي ليست من هذا الباب كقوله عليه الصلوة والسلام والله لا احلف على يمين
فارى خيراً منها الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضاً
فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعاً ولهذا ما ترك
المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط
مع ثقته وايضاً فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة
باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة
منه فيما يستشنع ويشيع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك
واما فيما لا يقع في هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها
في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه
وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه
ومناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف في القول
في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز

ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب
قبل النبوة ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر الى احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه
وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه
قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا
اليه فصل فان قلت فما معنى قوله عليه الصلوة والسلام في حديث السهو الذي
حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر قال ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا
حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك
عن داود بن الحصين عن ابي سفيان مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته
فاخبر بنفي الحالتين وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان
بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها
بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول
اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي
زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا
الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه

وأما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول
كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره
اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبره صلى الله عليه
وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق
به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت
قصدا وسهوت عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه
ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن
اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت الصلوة وما نسيت هذا ما رأيت
فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها
ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله صلى الله
عليه وسلم بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض
روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت
انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي
حتى سأل عنه غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله صلى الله عليه وسلم
على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة
وافة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا





ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت ولا نسيت خلف
في القول وعندي في اخرى ان قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك
الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة
ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح اني لانسى او انسى لاسن لكم الى واما قصة كلمات ابرهيم
عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة في القران منها
اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها
اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره
وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني
سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر
لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت
وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه
عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس فيه كذب
بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم
من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة
حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه
ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى
الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط
نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق
ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام

وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله
عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان
حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق
ابرهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول وانما هو ستر مقصده
لئلا يأخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر
والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا للغزوة كذا او وجهتنا
الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف
فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم
فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبد لنا بمجمع
البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبأ الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا
الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنه هل تعلم احدا اعلم
منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة وعلى
الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء
يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله انا اعلم بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور
الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا
باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى عليه السلام اعلم
على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم





اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته
فيهلك لما يتضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء عليهم الصلوة والسلام فغيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا
قال عليه الصلوة والسلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى عليه السلام
ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته
عن امري فدل انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر
وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هرون وما نقل
احد من الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما
هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم نحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر
انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال
ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد
بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة
منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائل منهم بانهم معصومون

من ذلك من قبل الله تعالى معصومون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا
قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على
الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل
وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين
من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم صلوات الله وسلامه عليهم من الصغائر كعصمتهم
من الكبائر وقالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول
ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى
ما هو اكبر منه ومخالفة الباري سبحانه في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي
ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله سبحانه صغيرة الا على معنى انها
تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها
شيء والمشية في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية
وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى
ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا
مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري
بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان
من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الخطر
وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا
وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام





قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد
وابو الفرج عن مالك رحمه الله التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري
وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري
وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة
الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن
الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة او الاباحة
او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما
على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة
بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم مجمعون على
انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه
وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه
وعلى هذا الماخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب
على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة
قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء
باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم
برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير
واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلا خبرتها اني اقبل وانا
صائم وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله
عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا

عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم
بحدوده والاثار فى هذا اكثر من ان يحاط بها لكنه يعلم من مجموعها على
القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة فى شىء
منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هى ماذون فيها وايديهم كايدى
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له
صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله تعالى والدار الاخرة
لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة
بينتهم كما بينا منه اولا لكتابطرفا فى خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان
لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه صلوات الله وسلامه عليهم
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية
فصل وقد اختلف فى عصمتهم صلوات الله وسلامه عليهم من المعاصى قبل النبوة
فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب وعصمتهم
من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصى والنواهى
انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس فى حال نبينا صلى الله عليه وسلم
قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشىء
وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة فى حقه حينئذ
اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهى وتقرر الشريعة ثم اختلفت
حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضى





ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه
لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره فى العادة اذ كان من مهم امره واولى
ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شىء
من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا
من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهى طريقة غير سديدة واستناد
ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف فى امره
صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك اذ لم يحل الوجهين منها
العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى وقالت فرقة
ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف
بعضهم عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه
القاضى ابو بكر رحمه الله وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شىء من ذلك لنقل كما
قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم فى ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته
من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح انه لم يكن
لنبى دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر فى قوله
تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وللاخرين فى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا فحمل هذه الاية على اتباعهم فى التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى الله
فبهديهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه
كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم
فى هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا

عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا
القول في سائر الانبياء غير نبينا عليهم الصلوة والسلام او يخالفون بينهم اما
من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل
فاينما تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة فيه
من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر
الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء عليهم السلام
في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين
ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم
باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا فيما يختص بنفسه اما الاول فحكمه
عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها
لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه
العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء
والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا
وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا
بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة





بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما قال عليه الصلوة والسلام انما انا
بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا
في حقه عليه الصلوة والسلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه الصلوة والسلام
اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة
له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون
حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله صلى الله عليه وسلم وما يختص به من امور دينه
واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز
السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه
من مقاسات الخلق وسياسات الامة ومعانات الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس
على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه الصلوة والسلام
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء من رتبته ويناقض معجزته وذهبت
طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه الصلوة والسلام
جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى **فصل** في الكلام على الاحاديث المذكورة
فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدمناه في الفصول قبل هذا ما يجوز
فيه السهو عليه الصلوة والسلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال
الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا
الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه فالصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه
صلى الله عليه وسلم في الصلوة ثلاثة احاديث اولها حديث ذي اليدين رضي الله عنه

في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث
ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه
الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله تعالى فيه ليستن
به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا
السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان
والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق
وقد قال عليه الصلوة والسلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني
وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن
وقال صلى الله عليه وسلم اني لا انسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي
وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار الى انه
ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على
سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي
له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه
اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول
وغفلة وافة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلوته ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة
شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت
طائفة الى منع هذا كله عنه صلى الله عليه وسلم وقالوا ان سهوه عليه الصلوة
والسلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى





منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر
بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى فقد اثبت احد الوصفين ونفى
مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى
هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني ولم يرتضه غيره منهم
ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس
فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله عليه
الصلوة والسلام بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي
الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو
عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف
اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم الصلوة
في الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم
عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء في ذلك
اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر
منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه الصلوة والسلام
في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة
واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون
لمن بعدكم الثاني ان قلبه عليه الصلوة والسلام لا يستغرقه النوم حتى يكون منه
الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي

ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه
نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة
الاهل او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل
في الجواب انه كان من شأنه عليه الصلوة والسلام التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا تصح
ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا لمراعاة اوله ليعلمه
بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلوة
والسلام عن القول نسيت وقد قال عليه الصلوة والسلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت نسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن
اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله تعا اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت
وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا
منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان نضيف الفعل الى خالقه والآخر
على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه الصلوة والسلام لما اسقط
من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه





ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من
اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على
الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم
الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به
قديما وقامت الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح
وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله تعا فمن ذلك قوله تعا لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله تعا واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعا ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله
تعا عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله تعا لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم وقوله تعا عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآية وما قص تعا من قصص
غيره من الانبياء كقوله تعا وعصى آدم ربه فغوى وقوله تعا فلما آتاهما صالحا
جعلا له شركاء الآية وقوله تعا عنه ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله تعا عن يونس
سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر تعا من قصته صلى الله عليه وسلم وقصة داود
عليه السلام وقوله تعا وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
الى قوله مآب وقوله تعا ولقد همت به وهم بها وما قص الله تعا من قصته مع اخوته
وقوله تعا عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى
الله عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما
اعلنت ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم وذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام

في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله واتوب اليه
في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني الاية وقد كان
قال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال تعالى عن ابرهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله تعالى عن موسى تبت اليك وقوله تعالى ولقد فتنا
سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر قال القاضي رحمه الله فاما احتجاجهم بقوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف المفسرون فيه فقيل
المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه
انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة وبالمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر
وقيل المراد بذلك امته عليه الصلوة والسلام وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر
من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتاول قوله
تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
ههنا هي مخاطبته لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر الاية وبمال المؤمنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما
فمقصد الاية مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا
تبرئة من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه
حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي





والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك
وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل
معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه
وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم
فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده
الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نفطويه وقد حاشاه الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل
ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فأذن لمن شئت منهم
فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج
عليه فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله
لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري
قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله
عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها كانت تكرمة وقال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله ولما
قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي
صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء فكانه
قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه الصلوة والسلام احلت لي الغنائم ولم تحل

لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد
ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا
النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي
عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فاختلف المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا
بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم
بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا
القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم
الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها
حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا بل كان عليه الصلوة والسلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا
القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء
ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه من انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم
فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان غيره الاصلح من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم
غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم
في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب
رأيه ورأي من اخذ بأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه





وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر
لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم
فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي
صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه
وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي خرج هذا الخبر اهل الصحيح وقال القاضي بكر بن
العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتبه
له من احلال الغنايم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم
وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته
بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار
او تذنيب هذا معنى كلامه واما قول الله عز وجل عبس وتولى الايات فليس فيها اثبات
ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى
وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل النبي
صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله عز وجل وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله
تعالى عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده واشارة الى الاعراض
عنه بقوله تعالى وما عليك الا يزكى وقيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها
بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة

وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اى جهل وقيل اخطأ
فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك
ولزوجك الآية وقيل نسى ذلك مما اظهر لهما وقال ابن عباس رضى الله عنهما انما
سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما
اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله تعالى حانثا
وقد روى عذر آدم بمثل هذا فى بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله تعالى لهما حتى
غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما
اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند
اكله سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم تكن معصية وكذلك اذا كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى
والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون
ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو
لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله تعالى
لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقال
تعالى فتاب عليه وهدى وقوله عليه الصلوة والسلام فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء
الله تعالى واما قصة يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس فى قصة
يونس نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله





تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا
الله تعالى عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب
فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا
كله ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك
المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء فى غير
موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير
اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يؤاخذ وقال الواسطى فى معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا
واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما
غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة
داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شىء من ذلك ولا ورد
فى حديث صحيح والذى نص الله تعالى عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب
وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير
اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك
واكفلنيها فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا
وهذا الذى ينبغى ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب
بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد
الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة
بما بسط له من الملك والدنيا والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى ليس فى قصة داود

وأو يا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه
رجلان في نعاج غنم على ظاهر الآية واما قصة يوسف عليه السلام واخوته فليس
على يوسف فيها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر
الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبياء قال المفسرون يريد من نبئ من ابناء
الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا
لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت
لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست
سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له
حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم
اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما
ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع
والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى
برهان ربه لهم بها وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقد قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الآية قيل في ربي الله وقيل الملك
وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم
بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة





فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي
وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من القبط الذين كانوا على دين فرعون
ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله
فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي
فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال
النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال
وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك
فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون
وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله
ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى
الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره
وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر
بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه
مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
لها فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين
على هذا الحديث اجوبة هذا اشدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري
رضي الله عنه وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة المعروفة واما قصة سليمان عليه
السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فمعناه

ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على مائة
امراة او تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل
ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق
هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي
على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون
الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون
من خرافاتهم عما فعله ومن تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور
في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل
لم لم يقل سليمان في قصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة اسدها ما روي في الحديث الصحيح
انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
تعالى وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة
بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه
الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له
من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص
منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى
لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى ونحو هذا واما قصة نوح
عليه السلام فظاهره العذر وانه اخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى انا
منجوك واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عليه من ذلك لا انه
شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله





الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فاخذ بهذا التأويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن
له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل
في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه
بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته
نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح
فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا
بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي صلى الله عليه
وسلم كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى
عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك
التشفي كما قال الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل
انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية
النمل هناك ولم يأت في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه الصلوة
والسلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال صلى الله عليه وسلم
فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام التي وقعت من غير قصد
وعن سهو وغفلة **فصل** فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر
من لا شيء فاعلم وفقنا الله واياك ان درجات الانبياء عليهم الصلوة والسلام في الرفعة

والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه
مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به
غيرهم وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا عليها
وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو
أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى
علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم
فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره
وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوء ما يجري من أحوالهم
لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب
والذكر الظاهر والخفي والخشية لله تعالى وإعظامه في السر والعلانية وأما غيرهم
يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالإضافة إلى هذه الهنات في حقه
كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم
كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف ما كانت
من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي التي
نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا
يوسف عليه السلام قد أوخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل إنه أنسي يوسف ذكر الله وقيل
أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني
وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم تؤاخذ الأنبياء
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف





ما أتوا به من سوء الأدب وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه
إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذاً في هذا أسوء حالاً من غيرهم فاعلم أكرمك
الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم
يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة لهم في درجاتهم ويبتلون بذلك
ليكون استشعارهم له سبباً لمنماة رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى وقال تعالى لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الآية وقال تعالى بعد قوله لموسى
تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال تعالى بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا
له الريح إلى قوله وحسن مآب وقال بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضاً فلينبه غيرهم من البشر
منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة
ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب
الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود عليه السلام
بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصاً له
ولكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم وأيضاً فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها
إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو
جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي
صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكراً لله تعالى على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة

بما تقدم وما تأخر فلا أكون عبداً شكوراً وقال صلى الله عليه وسلم إني لأخشاكم لله
وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء عليهم الصلوة والسلام
خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم
أممهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وأيضاً
فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء
محبة الله تعالى قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل
والأنبياء عليهم الصلوة والسلام الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل
حين استدعاء لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والأنصار الآية وقال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً
فصل قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه
وسلم عن الجهل بالله وصفاته أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة
بعد النبوة عقلاً وإجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع
وأداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه
الله تعالى وأرسله قصداً أو غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً
وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر
تحقيقاً وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه
للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها
وخطرها فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف
صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب



أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل
من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار
البوار ولهذا ما احتاط النبي صلى الله عليه وسلم على الرجلين اللذين رأياه
ليلاً وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال صلى الله عليه
وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً
فتهلكا فهذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل
جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع شيئاً منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول
العلم وأن السكوت أولى وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها
وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه ويبتني عليها مسائل لا تنعد
من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في أقوال
النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد
من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه
السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمداً وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة
ثالثة يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً
من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع
فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح
فأما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقاً أو يضيع حرمة للنبي صلى الله
عليه وسلم وبسبيل هذا قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة
الملائكة فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم الصلوة والسلام قال القاضي رحمه الله
أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم

حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء
والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت
طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
الاية وقوله تعالى كرام بررة وقوله لا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طائفة الى ان هذا مخصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى ونبين الوجه فيها ان شاء
الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه
الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء
من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا
فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل
الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما
وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا صحيح ولا سقيم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القران
اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره
وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات من افترائهم بذلك
على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك
ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت





هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين
او ملكين وهل ما في قوله تعالى وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة
فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله
كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما
الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق
بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين
طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب
عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت انهما يعلمان الناس السحر
فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد
لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر
غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه المذكور انه كفر وانه
امتحان من الله تعالى وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكور
في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي
الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه
الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي قيل هما جبريل
وميكائيل عليهما السلام ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا عليه على سليمان
فاكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت
وماروت قيل هما رجلان تعلماه وقال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل
بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك
قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان

وتكون منافيًا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه
السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الآية على تقدير أبي محمد مكي
حسن ينزه الملائكة فيذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرًا وقد وصفهم الله
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه قصة ابليس
وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه
استثناه من الملائكة بقوله تعالى فسجدوا الا ابليس وهذا ايضًا مما لم يتفق
عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وهو قول الحسن
وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة
في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب
سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار
ان خلقًا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا
فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها
تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها والله الموفق للصواب **الباب الثاني**
فيما يخصهم عليهم الصلوة والسلام في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من
العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه الصلوة والسلام وسائر الانبياء والرسل
من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشرية يجوز عليه من الآفات والتغيرات
والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة
فيه لان الشيء انما يسمى ناقصًا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب
الله على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع
البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه الصلوة والسلام واشتكى واصابه الحر والقر





وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه
الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي
السم وسحر وتداوى واحتجم وانتشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه
وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات
البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا
قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم نبينا صلى الله عليه وسلم بعد من الناس فلئن لم يكف نبينا
عليه الصلوة والسلام ربه تعالى يد ابن قمئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه
عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور
وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من لبيد
ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى
ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم
ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى
بعيسى بن مريم وليكون في محنتهم تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تمامًا
على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة
انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم
لمشاكلة الجنس واما بواطنهم فمنزهة غالبًا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملاء الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه
الصلوة والسلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال صلى الله عليه وسلم اني
لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي

فاخبر صلى الله عليه وسلم ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره
وان الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه
بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه
وقلبه وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء
في بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرنا
وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو
صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله عليه الصلاة
والسلام اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه
الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض
منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه
ان شاء الله تعالى **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم
سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد الله
ابن اسمعيل قال حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل
الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن
الحديث واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم **فاعلم** وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح
متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على
امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم
عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع





الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان صلى الله عليه وسلم
يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه
او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز
طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة
للافات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه
كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه انه يأتي اهله
ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها انه نقل
عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد
صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه
لائمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تأويل اجلى وابعد
من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروي نحوه عن الواقدي
وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم رحمهم الله وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى
ابن يعمر قال حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه
ملكان فقعد احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه الحديث وقال عبد الرزاق
حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى
محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان
لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده
وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطئ نسائه وطعامه واضعف جسمه
وامرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه
ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنى منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر
على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا
اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل
الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصاً
من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره
وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبساً ولا يجد به الملحد المعترض انساً **فصل** هذه
حاله في جسمه عليه الصلوة والسلام فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها
على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد الشيء
في امور الدنيا على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف
امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغير واحد سماعاً وقراءة قالوا
حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن
عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري
واحمد المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل
فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً فتركوه فنقصت فذكروا
ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي





فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث اخر انما ظننت
ظناً فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي
فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا
وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة
سنها وكما حكى ابن اسحق انه عليه الصلوة والسلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له
الحباب بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب
والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض حتى نأتي
ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون
فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال له الله تعالى وشاورهم في الامر واراد
مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم
رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه اذ ليس في هذا كله نقيصة
ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل بها
نفسه والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح
بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون
في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه صلى الله عليه وسلم
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز
في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما ما يعتقده في امور
احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد

فبهذه السبيل لقوله عليه الصلوة والسلام انما انا بشر وانكم تختصمون الى ولعل
بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من حق
اخيه بشئ فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد
رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا
ابو داود ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت
ام سلمة عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفى رواية
الزهرى عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له
وتجرى احكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله فى ذلك
فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله
امته باتباعه والاقتداء به فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان
مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ من ذلك
ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد فى شريعته لانا نعلم ما اطلع عليه هو
فى تلك القضية لحكمه هو اذا فى ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم
وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التى يستوى فى ذلك هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء امته به فى تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا به
من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال
اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى فى البيان واوضح فى وجوه الاحكام
واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدى بذلك كله حكام امته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطى ذلك عنه من علم الغيب الذى استأثر به



عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء
ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل**
واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله
فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه فى كل حال وعلى اى وجه من عمد او سهو او صحة
او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب واما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها
فجائز ورودها منه فى الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه
مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روى من ممازحته ودعابته لبسط
امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا فى تحببهم ومسرة نفوسهم
كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التى سألته عن زوجها اهو
الذى بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه
بياض وقد قال عليه الصلوة والسلام انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله
فيما بابه الخبر فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهى فى الامور
الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشئ او ينهى احدا
عن شئ وهو يبطن خلافه وقد قال عليه الصلوة والسلام ما كان لنبى ان تكون
له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله
تعالى فى قصة زيد واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
الاية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا
الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما فى هذا ما حكاه اهل التفسير عن على بن حسين رضى الله عنهما ان الله تعالى كان اعلم
نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له

امسك عليك زوجك واتق الله واخفي منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها
مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن
الزهري قال نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه
زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا
وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها
غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلمه به تعالى وقوله
تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه
لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري وما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم
ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه
لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا وزينتها ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه
ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام قال القشيري
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف
يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي
صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا
منهن الاية ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي
صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه
النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله





به فلما طلقها زيد خشي قول الناس تزوج امرأة ابنه فامره الله بزواجها ليباح
مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم الاية
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا
اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع
عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها
وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى
ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه
القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين
من اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على
النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقد اخطا قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اي
يستحيي منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه الصلوة والسلام
من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج
زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على مراعات رضى ازواجه في سورة التحريم
بقوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله تعالى له هٰهنا وتخشى الناس والله الناس
احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنهما لو كتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه فصل
فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلوة والسلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح
منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح

ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته صلى الله عليه وسلم الذي
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا
ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
قال ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق وهمام انبانا معمر عن الزهري عن عبيد الله
ابن عبد الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية
ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه
فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية
واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته
ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية
من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش
واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا
روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث
محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق
وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه





هجر على حذف الف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة
من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه
وهو المقام الذي اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا
القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم
الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية
اهجرا وهي رواية ابي اسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية
قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة
لهم من بعضهم اي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا
ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم صلى الله عليه وسلم ان يأتوه بالكتاب فقال بعضهم
اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن قوله فلعل
قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلوة والسلام لبعضهم ما فهموا انه لم تكن منه عزمة
بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه
اذ لم تكن منه عزمة ولما رأوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا
وقد يكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال
املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
اشتد به الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
ورأى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وان الله تعالى
قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي صلى الله عليه

وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل
انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك
ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتداء بالامر به بل اقتضاه منه
بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل
هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل
بقوله دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر وترككم
وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب كتابة امر الخلافة بعده وتعيين
ذلك **فصل** فان قيل فما وجه حديثه ايضا الذي **حدثناه** الفقيه ابو محمد الخشني
بقراءتي عليه **ثنا** ابو علي الطبري **ثنا** عبد الغافر الفارسي **ثنا** ابو احمد الجلودي **ثنا**
ابرهيم بن سفيان **ثنا** مسلم بن الحجاج **ثنا** قتيبة **ثنا** ليث **عن** سعيد بن ابي سعيد **عن**
سالم مولى النصريين قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول **اللهم** انما انا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني
قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته
فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفي رواية فايما احد
دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها باهل وفي رواية فايما رجل من المسلمين سببته
او لعنته او جلدته فاجعلها له زكاة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي
صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا
يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله **فاعلم**





شرح الله صدرك ان قوله صلى الله عليه وسلم اولا ليس لها باهل اي عندك
يا رب في باطن امره فان حكمه عليه الصلوة والسلام على الظاهر كما قال صلى الله
عليه وسلم وللحكمة التي ذكرناها فحكم صلى الله عليه وسلم بجلده او ادبه بسبه
او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه الصلوة والسلام لشفقته
على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل فيمن دعا
عليه دعوته ان يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه صلى
الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب
بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنته او سبه وانه
كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة فيه او العفو عنه
وقد يحمل على انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله
وقد يحمل ما ورد من دعائه هاهنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد
والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله عليه الصلوة والسلام
تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته
في غير حديث انه عليه الصلوة والسلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا
المعنى ثم اشفق عليه الصلوة والسلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال
في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو
عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم
وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده
او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون

عقوبة له في الدنيا بسبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك
شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم
حين تخاصمه مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له
الانصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عن ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم
ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض
بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم
وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه
وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان
فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء لكونه صلى الله عليه وسلم فيهما معصوما
وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث الاخر في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب
عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا
ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان
النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى
والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد





ثلاث مرات وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع
ادب ولكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه
واما حديث سواد ابن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس
ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول
الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه صلى الله عليه وسلم لمنكر رآه به ولعله لم يرد
بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما
قدمناه **فصل** واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي
والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير
قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب
بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان صلى الله عليه
وسلم لا يأخذ منها لنفسه الا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته
التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف
شارد او قهر معاند او مدارات حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم
في زاكي وظائف عباداته وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف في افعاله الدنيوية
بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار
وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب ليلا على الثبات ويركب
الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة
لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة

فى احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤلفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم
وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث وتركه بناء
الكعبة على قواعد ابرهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها
وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال
لعائشة رضى الله عنها فى الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابرهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى
مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت
من امرى ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه
ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى فى منزله ما يتولى الخادم فى مهنته
ويتسمت فى ملائه حتى لا يبدو منه شئ من اطرافه وحتى كان على رؤسى جلسائه
الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما
يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصره
عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين فان قلت
فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة فى الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل
عليه الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من
اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول فى ظهره ما قال
فالجواب انه فعله صلى الله عليه وسلم كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه
ليتمكن ايمانه ويدخل فى الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى
الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية





وقد كان يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطانى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار احب
الخلق الى وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه
لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا
متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل
واجبا فى بعض الاحيان كعادة المحدثين فى تجريح الرواة والمزكين فى الشهود فان قيل
فما معنى المعضل الوارد فى حديث بريرة من قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد اخبرته
ان موالى بريرة ابوا بيعها الا ان تكون لهم الولاء فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم
اشتريها واشترطى لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا
ليست فى كتاب الله كل شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل والنبى صلى الله عليه وسلم
قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما
لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع
فى بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم
هذه الزيادة قوله اشترطى لهم الولاء اذ ليست فى اكثر طرق الحديث ومع ثباتها
فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال
وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطى عليهم الولاء لك ويكون قيام النبى صلى الله عليه
وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان
قوله صلى الله عليه وسلم اشترطى لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل
ان الولاء لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم قال اشترطى او لا تشترطى فانه شرط

غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم
وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله صلى الله
عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء
انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة
ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
في رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون
ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله
تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية
فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام كان
اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته
وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله تعالى
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل
قائله ان حسن له التاويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك
لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول الانبياء ما لم يات
انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل**
فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم
الصلوة والسلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به
كايوب ويعقوب ودانيال ويحيى وزكرياء وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم
وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل
لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وقال





يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه تعالى اياهم بضروب المحن زيادة
في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى
والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدا لبصائرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا
في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات
فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين
الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي
السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة ثنا حماد بن
زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله
اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب
دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى
وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان
بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني
الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب

بيوسف كان سببه التفاته في صلوته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع
يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب
وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت
عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان
مفطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروى
عن الليث ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه
واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه
ومحنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره او للعمل
بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله
عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على احد اشد منه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه
وهو يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك
وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان
النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروى مثل هذا





عن عائشة رضي الله عنها وابي ومجاهد وقال ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة رضي الله عنها ما من مصيبة
تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب
المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر
الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما من مسلم يصيبه اذى الا حات
الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم
وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند
قبضهم وتخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك بخلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين
والصعوبة والسهولة وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح تكفؤها
فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة
صماء معتدلة حتى يقصمها الله تعالى معناه ان المؤمن مرزاء مصاب بالبلاء
والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله تعالى منطاع لذلك لين الجانب برضاه
وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلايا واعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة
نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل
لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه
على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى

في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه
لجنبه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة
ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة
اشد كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة
الله تعالى في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة الاية ففجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم
به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة ومنه في حديث
ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف اي الغضب يريد موت الفجاءة
وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة
الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله
وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن
يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه
وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى
بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل
امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم رأى الامساك عنه
افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه
غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون
قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في رجل مات فجاة



سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجاة راحة للمؤمن
واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له
منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت
اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا اشار
صلى الله عليه وسلم بقوله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء
الله كره الله لقاءه **القسم الرابع** في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه
او سبه عليه الصلوة والسلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم
من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم
وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه
واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال الله تعالى
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما
وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك
واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه
بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه
والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع

لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى اعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم
لا يرعونه الا برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال وهنا
هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا
القاسم فقال له لم اعنك وانما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتاذى
باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه
والازراء به فينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له
واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم
حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حيوته واجازوه
بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها
وما ذكرناه فهو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق
تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل
الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن
سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع
فقال عمر رضي الله عنه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم





يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع
لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال
لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله
عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه
بابي القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه
وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد سمى به النبي
صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس
وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت
الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

## الباب الاول

في بيان ما هو
في حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نص قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض
به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه
او الغض منه او العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه
ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا
كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض
البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن
الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على
ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد

واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهو مقتضى قول
ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك
ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد
او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه
بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره
واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير
المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء على
ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر واحتج
ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة
لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب
ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من
سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق
وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله
ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله





عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك
او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن
اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه
وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض
علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه
انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله عليه وسلم
الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون
صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون
تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب
لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا
فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول
الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله
وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه
امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه
وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ ما عليك واشك الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي صلى الله عليه وسلم

بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليهم الصلوة والسلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله





لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم فمن القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقد قال الله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال تعالى والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه

عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبياً فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله عليه الصلوة والسلام من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك أمره عليه الصلوة والسلام يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلوة والسلام وفي حديث آخر أن رجلاً كان يسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوي فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معاشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبراً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه فقتله الزبير وروى أيضاً أن امرأة كانت تسبه عليه الصلوة والسلام فقال من يكفيني عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروى أن رجلاً كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث علياً والزبير إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر رضي الله عنه أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها





ونزع ثنيتها فبلغ أبا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت بها لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها أنا يا رسول الله فنهض فقتلها فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأهدر دمها وفي حديث أبي برزة الأسلمي كنت يوماً جالساً عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي إسمعيل وغير واحد من الأئمة في هذا الحديث أنه سب أبا بكر ورواه النسائي أتيت أبا بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي أبو محمد بن نصر ولم يخالف عليه أحد فاستدل الأئمة بهذا الحديث على قتل من أغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما أغضبه أو آذاه أو سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر إليه أنه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكاً في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له أن فقهاء العراق أفتوه بجلده فغضب مالك وقال يا أمير المؤمنين ما بقاء الأمة بعد شتم نبيها من شتم الأنبياء قتل ومن شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي أبو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري من هؤلاء الفقهاء

بالعراق الذين افتوا الرشيد عما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله
ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون
ما قاله يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب ام غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم يقتله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه
كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
صلى الله عليه وسلم فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره
ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل
على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير
منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه
او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل على
استحلاله لذلك وهو كفر ايضا وهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال
اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول
بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا كقول القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه
حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه
فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته
وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله عليه وسلم القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل** فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى
الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل







الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى عليه السلام باكثر
من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم
وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه
الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا
ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر
على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك
امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم
واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره
كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود
وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري
الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك
نذر صلى الله عليه وسلم دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما
ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه صلى
الله عليه وسلم على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية
ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت اليهم وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم

فيصبر صلى الله عليه وسلم على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى
فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير
منهم وقام للدين منهم وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار
وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنه
صلى الله عليه وسلم من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل
امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه
عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه على فعلهم وعلى قلة صدقهم في اسلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم
وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلهذا تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا
فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة
بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين
وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند
وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم
الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رأيت
معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا





بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة
في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا سنة الله الآية قال معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة
في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد
بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له
وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك
لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء
الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون
دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب
ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله
عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه صلى الله عليه وسلم
سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا يترك موجب
الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج

باب من تركه قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم صلى الله عليه وسلم على سحره وسمه وهو اعظم من سبه
الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف
في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم
بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم
فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون
كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك
حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
فان هذه من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب
او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال لما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت
عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي برداءه
بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه به كافر وجاء بعد ذلك اسلامه كعفوه
عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهودية التي سمته
وقال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره
واما غيره من الناس فيجوز بفعل المباح مما لا يجوز للانسان فعله وان تاذى
غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث فاطمة انها بضعة مني يؤذيني من اذاها الا واني لا احرم ما احل
الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة عدو الله عند رجل





ابدا وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح
عنهم رجاء استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق
**فصل** قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء
به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه
الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته صلى الله
عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله
عليه وسلم بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه
او نفي ما يجب له مما هو في حقه صلى الله عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته
او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها
صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول
وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه
ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة
مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول
القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء
مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا
افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي
العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر احد بدعوى
زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر

كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف عنه لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون

**فصل**

الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى مع الفرية على الله تعالى وقال اشهب في اليهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه





عليه الصلوة والسلام الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلوة والسلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

**فصل**

الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل كلامه عليها بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي

عليه لأن لأجل امرأ لأخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق
لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل
وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال لصاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا
فأمر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة ألفاظه وما يدل
على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون
امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم
المسلم لا يقدم عليه الا بأمر بين وما ترد اليه التأويلات لا بد من امعان النظر
فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال
لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد
ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفته بالسنن فعليه الادب
الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله
صلى الله عليه وسلم وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه
في المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل
في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض هذا العدد
منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة
الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق
القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم





او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله
او ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة
في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه او من نسله او ولده واخراج النبي
صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رأيت لابي موسى بن مناس فيمن قال
لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت على ذلك بينة عليه قتل وقال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد
عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الآخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان
شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لشناعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد
ابن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم
من الكفار وافتى بها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي
ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل
في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله
محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه
برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس
فأمر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه
ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد
نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض
احواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة
لنفسه او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس
على طريق التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل
التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير بقوله

كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم او ان كذبت
فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم
منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب
او قد صبر نبي الله صلى الله عليه وسلم من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول
المتنبي غريبا انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار
المتجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته بنت
شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر هذا البيت شديد عند تدبره
وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه
وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم قلنا محمد من ابيه
بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني
من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله بالنبي صلى الله
عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته صفقت
بين جناحي جبريل وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله
قلب رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد ووزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان
وانت محمد الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم
ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا
وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما





عن هذا الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا
الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم يتضمن سبا
ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد
قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء
ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء
منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره
وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه لمثله
او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر
الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف
خصيب وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره
من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في محمد الامين
وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم في الشعر تنازع الاحمدان الشبه
فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله
كيف لا يدنيك من امل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفره لان حق الرسول
صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا ولم يزل على هذا المنهج جاءت فتيا
امام مذهب مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم
عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر فقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم
الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى

ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء
قبلنا وقال لعمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال له كاتب قد كان
ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي
ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق
الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال
لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء
اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين
راه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد
لانه جرى مجرى التحقير والتوهين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكر عندما انكر
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس ممن له يد فيرهب بعبسته فيشبهه
القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع
لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له
التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد
ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك
امي فقال له الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع عليه مقاله
وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن القابسي
اما اطلاق الكفر عليه فخطا لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه
وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة





ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب
واعترف ولجا الى الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب
فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها
بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه
رجل اخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص
حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد
السب وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه السادس ان يقول
القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته
وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله
والانكار والاعلام بقوله والتنفير منه والتوبيخ والتجريح له فهذا مما ينبغي
امتثاله ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض
على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات
الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم
او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه
الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب
على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع
ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء
الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الاذى

حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به
القضية وبان به الامر سقط عن الباقى الفرض وبقى الاستحباب فى تكثير الشهادة
عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث فكيف
بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابى زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا فى حق الله تعالى
ايسعه ان لا يؤدى شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك
ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه
ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ادرى لها مدخلا
فى الباب فليس التفكه بعرض النبى صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد
لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعى بمباح واما للاغراض المتقدمة فمتردد
بين الايجاب والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله
فى كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم
بما تلاه الله علينا فى محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله فى احاديث النبى صلى
الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة
الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين فى كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على
الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية والقائلين ما ذكر
بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية
سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث
الناس ومقالاتهم فى الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض
فى قيل وقال وما لا يعنى فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة من بعض
فما كان من قائله الحاكى له على غير مقصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته





او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه
زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له
وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سأل
مالكا عمن يقول القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيرى
فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ
بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره
او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
له والتحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه وسبه صلى الله عليه وسلم فحكم
هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله
ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت
مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف فى الاجماع اجماع
المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه
متى وجد دون محوه ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا
من احاديث المغازى والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء
ذكروها يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها
واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى
فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو
بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد بروايته او نشره
فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع
ان يذكر ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم او يختلف فى جوازه عليه وما يطرأ
من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر فى ذات الله تعالى

على شدته من مقاسات اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه
من بوس زمنه ومر عليه من معاناة عيشه كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة
العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء عليهم الصلوة والسلام وما يجوز
عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص
ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون
الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون
فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او تخشى به فتنة فقد كره بعض السلف
تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وادراكهن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية
الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى
عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من
قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء عليهم
الصلوة والسلام حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها
لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك
قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر
الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله وعظيم
منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله
تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثيرة من الامم غيرهم باظهار الله تعالى
له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب لظهوره





ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سئل ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال
ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى علاماته
في انباء الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء
وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيراء لابي طالب وكذلك اذا وصف
بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ
معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك
من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة
البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما
هي الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة
والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها
سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما
فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج
حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه
منتهى هلاكه وختم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره
وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه
في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها
وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه
كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد
ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمنا وكذلك
ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليه وعليهم الصلوة والسلام في الاحاديث

مما في ظاهره اشكال يقتضي امورًا لا يليق بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد
احتمال فلا يجب ان يحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت
ورحم الله مالكًا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه
والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة
انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها
على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته
وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته
الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها
الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها او حملها على
ظاهرها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث
فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها
ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر
على وجه التعريف بانها واهية المقاد وضعيفة الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها
ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها
ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس **فصل**
ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من
حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه





عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
وبره ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الادب عند
ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ
على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له
لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله صلى
الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ واداب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك
وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال
هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوًا او غلطًا ونحوه
من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم
الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول
بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل تجوز منه المخالفة في بعض
الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان يعصي
او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم
وما يجب له من تعزير واعظام صلى الله عليه وسلم وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ
من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوّله لاجل ترك
تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا
بين الناس مستعملًا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه صلى
الله عليه وسلم اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها
وتهذيبها تعظم الامر او تهونه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما
ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه
كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة واتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن

مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجرداً فكيف عند ذكر مثل
هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم
الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن حكى الله فيها مقال عداه
ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاماً لربه واجلالاً له
واشفاقاً من التشبه بمن كفره **الباب الثاني** في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه
وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا
ما هو سب واذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم
ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء على قتله حداً لا كفراً
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته
كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائباً من قبل نفسه لانه حد
وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله
اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد
ابن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل
وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائباً فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار
في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه
فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني
استدل على صحتها بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله وهذا قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى يتصور





فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة
عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف
فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب
قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه
لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئاً حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق
لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجاً لسقوط اعتبار توبته
والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله
عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعاً وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه
صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد
به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله
عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف
فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضاً فان توبة المرتد اذا قبلت
لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقط التوبة
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه
اسم الكفر ظاهراً والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي
من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب
من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء مبني على القول

بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا
ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه
والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول
من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره
ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة
الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه
واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه بكلمة الكفر وانكر
او تاب فان قيل فكيف يثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه
بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك
كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض
احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة
واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان
سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا ما لا اشكال فيه ويقتل
وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره
وامره بعد الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات
خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة
وغيرها على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة





حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما وقد اختلف
السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين على تصويب قول عمر رضي
الله عنه في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود
رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه
والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس
وعبيد بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز
ابن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي
عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن
لا يدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء
ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على
ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة
وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء
في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء
واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه انه يستتاب ثلاثة ايام
يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر رضي الله عنه وهو احد قولي الشافعي وقول
احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة
الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثا وقال مالك ايضا الذي
اخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب
والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب الرأي وروي

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
مرة فقال إن لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى إلى الإسلام
ثلاث مرات فإن أبى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي
يستتاب أبداً وبه أخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه
يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة وفي كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت عنقه واختلف
على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت
في الاستتابة تجويعاً ولا تعطيشاً ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال أصبغ يخوف
أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الإسلام وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك
الأيام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله إذا خيف أن يتلفه على المسلمين ويطعم منه
ويسقى وكذلك يستتاب أبداً كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم
نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمساً قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبداً كلما رجع
وهو قول الشافعي وأحمد وقاله ابن القاسم وقال إسحق يقتل في الرابعة وقال أصحاب الرأي
إن لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضرباً وجيعاً ولم يخرج من السجن
حتى يظهر عليه خشوع التوبة وقال ابن المنذر لا نعلم أحداً أوجب على المرتد في المرة الأولى
أدباً إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي **فصل** قال القاضي رحمه الله
هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم فأما من
لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن
احتمل ولم يكن صريحاً وكذلك إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل
ويتسلط عليه اجتهاد الإمام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة وضعفها وكثرة





السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره
أذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي
منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب
عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال وعائق اقتضاه أمره
وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك
والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك في العتبية في كتاب محمد من رواية أشهب
إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي
صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق
أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة
ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد
في القيود شداً ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة أخرى
مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما
أو جرحتهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه
وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز
فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد **فصل** قال القاضي رحمه الله
هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة
أو العهد على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة

فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم
الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا
اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا اهل حرب
يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع
في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك
سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف
اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد
وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب لانا
نعلم باطنة الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا
ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام
سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه
اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه
ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه
لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه
وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه
الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل
او قذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب
ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا



صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام
قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا
اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر وقد روى ابن وهب
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا
قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم
وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله تعالى اقرهم على مثله
واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله
او نحو هذا فيقتل وقال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم
دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب الموجع والسجن الطويل
قال واما من شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي ان اسلم طائعا
وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد
كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه
من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت
عنقه الا ان يسلم وقال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله
عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا
على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل

لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك
ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل
كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا
فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى قتلته او عاش يوما وليلة ومات وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته
الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم
سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة
فهو الان في الجنة ماله لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح
منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم
رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته
وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافت في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر
مسئلة ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه
فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه
به فكتبته بيدي بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل
وحرق وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه
وسلم في النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله





من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين
في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد
لا يسقطه عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما
حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل
يسقطه القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله **فصل** في ميراث من قتل بسب النبي
صلى الله عليه وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم
النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين
ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل
على كل حال ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه
على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء وكذلك
لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم
الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا
وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل
بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر
مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب
ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته
من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه وقاله

اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث
الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث
وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى
عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى
الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال
بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته قال ربيعة والشافعي
وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم
والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة رضي الله عنهم يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل
ابي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما
على قول مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك
بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة
وغير واحد من اصحابه لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين
الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية
وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال به ايضا جماعة
من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم
في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر
حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة
الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم
فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث





لانه لا توارث بين اهل ملتين ولكنه لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى
قوله واختصاره والله الموفق للصواب **الباب الثالث** في حكم من سب الله تعالى
وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه
رضي الله عنهم اجمعين لا خلاف ان ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب محمد بن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب
الا ان يكون افتراء على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره
لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة
وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني
فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة
وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل
بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة في مسألة هارون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير
التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت
في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن
خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى
اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب
لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر
وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى

واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك
استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا
ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له
بحكم الزنديق ولم يقبل توبته واذا انتقل من دين الى دين اخر واظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول
المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء
وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله فصل
واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد
الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف
في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم
اذا تحيزوا فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا
في المنفرد منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى تظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم
كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج
وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر
قول مالك في الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم
في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل
الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع
والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا
قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر





وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في المبسوط
في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم
السوء قال بهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال ابن القاسم من قال ان الله
تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا
تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي ايضا
عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك رحمه الله
فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور
في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك
ولو اعجبكم وروي ايضا عنه اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئا
من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يد او سمع او بصر قطع ذلك منه لانه
شبه الله بنفسه وقد قال فيمن قال القران مخلوق كافر فاقتلوه وقال ايضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله
التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف
اختلف قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب
القدرية واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة
وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع
وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين وهو من قول اكثر
المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة
واصحاب البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة
في هذه الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب وابن عمر

والحسن البصري رضي الله عنهم وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين واحتجوا
بتوريث الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر
ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل
القاضي وانما قال مالك في القدرية وساير اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا
لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله
وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في امر الدين
من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا
بما يلقون بين المسلمين من العداوة والله الموفق للصواب **فصل** في تحقيق القول في اكفار
المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء المتأولين ممن قاله
قولا يؤديه مساقه الى الكفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى
اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به
الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم من سواد المومنين وهو قول اكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق وعصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم
لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره
قال وهو قول جميع اصحاب مالك بن المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه
لم يخرجه من الاسلام واضطرب الاخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير وضده
واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلوة خلفهم منه والى نحو
من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات
اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسئلة
على نحو اضطراب قول امامه مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم
بالتأويل ولا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلوة على ميتهم ويختلف





في مواريثهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم
من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال وكذلك
اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة
واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض
من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته
لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب
لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين
الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين
الموحدين خطأ والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم
واحد وقد قال عليه الصلوة والسلام فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى فالعصمة مقطوع بها
مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع
ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء
منها في التصريح بكفر القدرية وقوله صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم في الاسلام
وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم
من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد
مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر
واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير
معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله
في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال صلى الله عليه وسلم شر قتيل
تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال عليه الصلوة والسلام فاذا وجدتموهم

فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لاسيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به
من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا
حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله
يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله
فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القران لا يجاوز
حناجرهم تراقيهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله عليه
الصلوة والسلام يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون
اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق
من الاسلام بشيء اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله
عليه الصلوة والسلام ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله
وان احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل منها وتحرير ابي سعيد الرواة
واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة بفي لا يقتضي تصريحا بكونهم من غير
الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي
عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث يخرج من امتي
وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة
بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رضي الله عنه اجاد ما شاء
في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني
واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة







لا اهل السنة ولا غيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو
الهذيل ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا
لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض
المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر
وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ
غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول
الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على
ان الحق في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني وقال
وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ الوسع
في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة
في ان كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم
لا حجة لله عليهم اذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي
قريبا من هذا المنحى الغزالي في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر
من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف
في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف
في ذلك فقد كذب النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع
الا من كافر **فصل** في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس
بكفر **اعلم** ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية

او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب
الاثنين من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان وغيرهم
ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية
والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد
انه غير حي او غير قديم وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا
او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم
صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه
ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك
على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد
الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك
من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبياء الذين نص الله عليهم
بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى
والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل
وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان
بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة
النبوة ونبوة نبينا عليه الصلوة والسلام ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به





ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض
الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا
ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة
والحشر والنشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها
وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب
فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر
او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء او ازرى
عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب
بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب
والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي
الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا
المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر
من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا عليه الصلوة والسلام ولكن
قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه
بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله
عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية
القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي رضي الله عنه في الرسالة
للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة
والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء
او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة

وغلاة المتصوفة وكذلك كل من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد
الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه الصلوة والسلام انه خاتم النبيين ولا نبي بعده
واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل هذا الكلام
على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف
كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او خص
حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال
الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم
او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال
كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير
كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الامة او تكفير جميع
الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد موت النبي صلى الله
عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا رضي الله عنه اذ لم يتقدم ويطلب
حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم بطلوا الشريعة باسرها
اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا والله
اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه اخر
بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي رضي الله عنه
وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله محمد واله
وكذلك يكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه
مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس او القمر او للصليب
او النار او السعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير





وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه
الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون
على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه
كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير
كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب
الخمس الصلوات وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه
الصلوة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد
فيه في القران نص جلي والخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر واحد
وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى
تكفير الباطنية في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم
اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة
اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع
عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج
واجب في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة
وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها
ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا
ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت
صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسئل عن هذا
الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري
الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة

والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه
وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة
الحج والمراد به وهي التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان
صفات الصلوات المذكورات هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله
بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب
في ذلك او المنكر بعد البحث فيه وصحبة المسلمين كافر باتفاق لا يعذر بقوله
لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري
وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا
انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة
في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى الدين كرة ومن قال
هذا كافر وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه
كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم
او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الضميري انه لا يدل على الله
ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما
بذلك القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران
به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القران بعد علمه انه من القران الذي في
ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم
على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله





عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث
او الحساب والقيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة
نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار
والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان
باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى
القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول
بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل
من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي
لا ترجع الى ابطال الشريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة
تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر رضي الله عنهما او قتل عثمان او خلافة
علي رضي الله عنهما مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل
الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار
هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من خالفه فاما ان ضعف
ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال
الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع
فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع
الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة قيد شبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب
اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب
اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره

الاجماع لانه يقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع
قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله
هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى
بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم
دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله
تعالى لا يكون الا باحد ثلثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان يأتي فعلا او يقول
قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول
او الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا
بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات
الله تعالى الذاتية وجحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر
ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا
على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون
من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه فاما من جهل صفة
من هذه الصفات فاختلف العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابي جعفر
الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه يرجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه
ويراه دينا وشرعا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث
السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير وبحديث القائل
لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث
اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب





الاخر عن هذا الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة
على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع
عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او يكون
قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها وقيل قال ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه
فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من مجاز
كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة
في كلامهم كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن
لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه
قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف
بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا سائر
فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن
ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا
لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل
واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك اكفارهم
والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلوة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين
وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى
يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشاء على زمن

الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من اهل القدر ورأي الخوارج
والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم
هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق
ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر
واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض
والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل
بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا
في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله
تعالى فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج
ابن عمر رضي الله عنهما عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب
والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم
قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه
عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم
فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل
الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا
فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد بن
ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا





قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين
في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها الله والنبي بالوجه الذي كفرت به لله
تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر فيمن سب
النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب
الله تعالى وسب رسوله لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم
وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف
العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ
لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر
عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره فصل
هذا حكم من صرح بسبه سبحانه وتعالى واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري
الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه
او ربه او قال ليس لي رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف
في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور
وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه
عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره
او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل
على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا تأمن باطنه ولا
نقبل رجوعه وحكم السكران في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم
انه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله
من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه على ذلك حتى ينكف

عنه كما تؤدّب البهيمة على سوء الخلق حتى ترتاض وقد حرّق علي بن أبي طالب رضي الله عنه من ادّعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبئ وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة رضي الله عنه وأصحابه من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسرّ ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ أو ادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن باريه وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان فقال يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على الآخر من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين

فصل وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر





هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا

شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول واما ما ورد في هذا
من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب ٥ رب العباد ما لنا
وما لكا ٥ قد كنت تسقينا فما بدا لكا ٥ انزل علينا الغيث لا ابا لكا ٥
في اشباه لهذا من كلام الجهال فمن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة والعلم
في هذا الباب فقلما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له
عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله منزه
عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه
ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض
من ادركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للانسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى
ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء
يتمندلون بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي
صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق للصواب **فصل** وحكم
من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به
او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال
الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله
الاية وقال تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم الى قوله تعالى
لا نفرق بين احد منهم وقال تعالى كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل





ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن
القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه
الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن
سليمان في بعض اجوبته من سب الله تعالى وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي وانما
كان النبي علي بن ابي طالب رضي الله عنه استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون
وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم
اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد
من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد او شك في شيء من ذلك وقال
ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد
ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلنا
على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين
ممن نص الله عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر المشتهر المتفق عليه بالاجماع
القاطع كجبريل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش
المذكورين في القران من الملائكة عليهم الصلوة والسلام ومن سمي فيه من الانبياء
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على
قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة
او الانبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم
واسية وخالد بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم
تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيهم لا سيما

على انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القران ومن خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابرهيم خليلا قتل لانهما اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران فقد كفر به كله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد اخر انه سأله عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على ان لعن التورية مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس

من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

**فصل** واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع

الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن افتى
عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد بالادب فيمن قال
لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن
قال ابو محمد واما من لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب آل بيته وازواجه
امهات المؤمنين واصحابه صلى الله عليه وسلم وتنقصهم حرام ملعون فاعله
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
العدل قالا ثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن محبوب ثنا الترمذي
ثنا محمد بن يحيى ثنا يعقوب بن ابرهيم ثنا عبيدة بن ابي رابطة عن عبد الرحمن
ابن زياد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم
فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء
قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم
ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي
فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه واذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني
وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم
في فاطمة رضي الله عنها هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا
فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله





من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من
شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا
او معاوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا
من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد
الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه
حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون
من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما
يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر
وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة
بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر رضي الله عنه
جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف
القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله
ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي
ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون
سبح نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي
كثيرة وذكر تعالى ما نسبه الى المنافقون الى عائشة رضي الله عنها
فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه
في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد
لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا
والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه

وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم موذيه تعالى القتل كان
حكم موذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة رضي الله عنها
بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى
انا فجلده ثمانين وحلق رأسه واسلمه في الحجامين وروى عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم
المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم
احدا بعد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتى باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له
صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال
للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين تبوءو الدار والايمان من قبلهم
الاية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق
له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية
وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله
كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم
من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية
لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا
فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه
الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة رضي





الله عنها من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما
يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والاخر انها كسائر
الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب
عن مالك من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول
صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف
امرأة بالليل وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما حلفت الا
بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن
الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخص باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض
في الله تعالى وقال ابن عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق رضي الله عنه
انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان
اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكروها رواية فصل قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي
انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان في كل قسم منه للمريد
مقنع وفي كل باب منه منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر
التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي
الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن كتابه اوفيه لاكتفي بما ارويه عما ارويه
والى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله

من تزيّن وتصنّع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعنا
من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لنتتبّع فضائله
واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن نار
الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممّن لا يذاذ اذا ذيد المبدّل عن حوضه
ويجعله لنا ولمن تهمّم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها
يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه
ويخصّنا بخصيصى نصرة نبيّنا وجماعته ويحشرنا فى الرعيل الاوّل واهل الباب
الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى على ما هدى اليه من جمعه ونسأله فتح
البصيرة لدرك حقايق ما اودعناه وفهم ونستعيذه جلّ اسمه من دعاء
لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذى لا يخيب من امّله ولا ينتصر
من خذله ولا يردّ دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا ونعم
الوكيل وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين
وسلّم تسليما كثيرا كثيرا الى يوم الدين والحمد لله ربّ العالمين وصلواته وسلامه
على سيّدنا ونبيّنا محمّد افضل من هدى الى رشد واكمل من فضّلت به امّته سائر
الامم وعلى آله الفضل والكرم وعلى صحابته افضل من ائتمّ بافضل الخلايق والشيم

قد وقع الفراغ من تنميق هذه النسخة الشريفة المسمّية فى اليوم الخامس
والعشرين من شعبان المعظم لسنة سبعة وعشرة
ومائتين والف على يد اضعف الفانى الاحوج الى ربه الغنى
احمد بن محمّد بن على غفر الله لهم وستر عيوبهم
وجعلهم من حزبه المفلحين آمين آمين
بجاه السائلين والحمد لله الحى

